حكايا الحسين مع الناس

ملامح من خصوصية الاجتماع السياسي الأردني

أحمد أبو خليل

مركز الدراسات الاستراتيجية
CENTER FOR STRATEGIC STUDIES
الجامعة الأردنية

حكايا الحسين مع الناس
أحمد أبو خليل

كرسي الملك الحسين للدراسات الأردنية والدولية

عن هذا الكتاب

لقد اختار جلالة الملك الراحل حُسين أن يصنع صيغته الخاصة من ممارسة الحكم على المستوى الداخلي. ويطرح هذا الكتابُ فرضية تقول: إن تلك الصيغة شكّلت أسلوبَ الملك في فهم الحكم، الذي بمقابله، وبالتفاعل معه، تَشكّل أسلوبُ الشعب في فهم الملك كحاكم، وهو الأمر الذي ما يزال يلقي بظلاله على علاقة الشعب الأردني بالدولة والسلطة.

إن الشفوي أو "غير الرسمي" عند الملك الراحل، كان بالإجمال معادلاً أو مماثلاً أو موازيًا لما هو عَمَلي ومباشر و"إنساني" في أحيان كثيرة، مع التأكيد على أن مفهوم "إنساني" هنا لا يقتصر على ما هو شخصي أو عاطفي فقط، كما قد يتبادر إلى الذهن. إذْ من الواضح أن الملك ورجال إدارته، وخاصة في العقدين الأولين من حكمه، أي في الخمسينات والستينات من القرن العشرين، قرروا أن يمارسوا مهامهم بصيغة تتصالح، وتلتقي، وتحترم، بل وتخضع أحيانًا، وتستجيب، لتركيبة المجتمع وثقافته، وهو مجتمع شهد العديد من التغيرات والأحداث، عميقة التأثير على مجريات الإدارة العامة.

إن قضية تنوع أشكال السلطة والحكم وفق تنوع الثقافات، بما يعني عدم الاكتفاء بالنموذج الذي بُني في الحضارة الغربية كمرجع دولي وحيد وشامل، هي قضية مطروحة للنقاش. وفي هذا السياق يطمح هذا الكتاب في أن يكون إسهامًا متواضعًا أو محاولة أولية، لتقديم تجربتنا ورؤيتنا الوطنية الأردنية في هذا الميدان.

مركز الدراسات الاستراتيجية
CENTER FOR STRATEGIC STUDIES

سلسلة منشورات كرسي الملك الحسين للدراسات الأردنية والدولية

حكايا الحُسين مع الناس
ملامح من خصوصية الاجتماع السياسي الأردني

أحمد أبو خليل

"كرسي الملك الحسين للدراسات الأردنية والدولية"

2021

مركز الدراسات الاستراتيجية

الجامعة الأردنية

956,504

أبو خليل، احمد علي عبدالرحمن

حكايا الحسين مع الناس: ملامح من خصوصية الاجتماع السياسي الأردني/ احمد علي عبدالرحمن ابو خليل.- عمان: الجامعة الأردنية/مركز الدراسات الاستراتيجية، 2021

( ) ص.

ر.إ : 2021/6/3601

الواصفات :/عهد الملك حسين (1952-1999)//علم الاجتماع السياسي/ تحليل الشخصية//القيادة//تاريخ الأردن/

يتحمل المؤلف كامل المسؤولية القانونية عن محتوى مصنفه ولا يعبّر هذا المصنف عن رأي دائرة المكتبة الوطنية.

تصميم الغلاف:جهاد غرايبة

التصميم الداخلي: رانيا مشعل

التدقيق اللغوي: حنين ابداح

المحتويات

التقديم 5

مقدمة 9

شكر 11

الجزء الأول 13

1 غير الرسمي **15**

2 إرث الجد والأب **24**

3 الطفولة والفتوة **34**

4 الحسين ملكًا **42**

5 مع الحشود **60**

6 الملك يريحك **75**

7 خاتمة الجزء الأول **82**

الجزء الثاني 85

شهادات وحالات 87

زيد حمزة 90

هاني الخصاونة 95

سليمان القضاة 102

مجحم الخريشة 108

بسام الساكت 113

سلوى العاص 119

مهنا الدرة 123

شاهر أبو شحوت 127

ضافي الجمعاني 137
عمر النابلسي 141
محمد الزعبي 145
جهاد غرايبة 149
محمد جميل عبدالقادر 153
ناصر الدين الأسد 158
خليل سمارة 163
مراجع 165

التقديم

يقدم الباحث أحمد أبو خليل في هذا الكتاب جانبا من سيرة وتاريخ الملك الحسين بن طلال، بني في مجمله استناداً إلى شهادات من أشخاص كانوا حول الملك، بعضهم تولى مناصب رسمية، وبعضهم كان يعمل مع الملك أو قريبا منه، ما يجمعهم انه كانت لهم مشاهدات وقصص مؤثرة ومهمة.

يعمل أحمد أبو خليل باحثا انثروبولوجيا، وأمضى جزءا طويلا من سيرته المهنية في الصحافة والكتابة في تسجيل الملاحظات والمشاهدات من حياة الناس اليومية، والاستماع إلى الناس العاديين الذين لا يلتفت عادة إليهم الإعلام، وقد وظف تجربته الطويلة في التاريخ الشفوي مع الناس وفي الحياة اليومية ليجمع شهادات عن الملك الحسين من الأشخاص الذين عاشوا هذه الاحداث والقصص أو اطلعوا عليها بأنفسهم.

ولم تكن عملية أبو خليل سهلة، لأسباب كثيرة، منها معرفة هؤلاء الأشخاص والوصول إليهم، ومدى رغبتهم في الحديث، لكن الكتاب برغم صغر حجمه جاء مليئا بالقصص والأخبار التي تنشر لأول مرة، كما أنه جمع من الكتب والمصادر وأرشيف الصحافة ملاحظات وأخبارا تندرج في السياق الإنساني أو غير الرسمي في تاريخ الملك الحسين.

إن مركز الدراسات الاستراتيجية يأمل أن يقدم عبر كرسي دراسات الملك حسين كتابا يفيد الباحثين والمثقفين وجميع المواطنين في معرفة جانب من تاريخ الأردن والملك الحسين، ويأتي هذا الكتاب في سياق مجموعة من الكتب والدراسات التي أصدرها المركز أو سوف تصدر قريبا إن شاء الله، ونأمل بذلك أن نفي الملك الراحل حقه، وأن نخدم عمليات البحث والتأريخ للأردن، ومن المرجح إن لم يكن مؤكدا أن هذه القصص التي جمعها الباحث أبو خليل كانت سوف تختفي مع

أصحابها لو لم تسجل وتدون في كتاب، ومن المتوقع بطبيعة الحال أن قصصا وأحداثا كثيرة قد نسيت أو لم تسجل، وهذه قيمة وأهمية التاريخ الشفوي، إذ سوف يظل مثل هذا الكتاب مرجعا للأجيال القادمة كما الباحثين والمهتمين، كما يحفظ لهم مادة معرفية وبحثية كانت معرضة للاختفاء لو لم تسجل.

لقد استمرت فترة حكم الملك الحسين بن طلال 47 سنة، وهي تمثل حوالي نصف تاريخ ومسار الدولة الأردنية الحديثة، ووقعت في أثناء ذلك (1952 – 1999) أحداث كثيرة وبالغة الأهمية، كما كانت قصص وذكريات، قد تزيد أهميتها مع الزمن، فلا يمكن اليوم تخمين أهمية الأحداث والمصادر إلا بمعرفتنا بالمستقبل، ولا شك أن معظمه خارج قدرتنا على التقدير والإحاطة.

وعرض المؤلف جوانب وأخبارا من طفولة الملك حسين كما عرض سيرته ملكا، وتوقف عند جانب مميز في تاريخ وسيرة الحسين وهي لقاء الناس والجماهير والاستماع إليهم ومشاركتهم بعفوية، وقدم شهادات لشخصيات متنوعة؛ مثل السادة زيد حمزة، وهاني الخصاونة، وسليمان القضاة، ومجحم الخريشة، وبسام الساكت، وسلوى العاص، ومهنا الدرة، وشاهر أبو شحوت، وضافي الجمعاني، وعمر النابلسي، ومحمد الزعبي، وجهاد غرايبة، ومحمد جميل عبد القادر، وناصر الدين الأسد، وخليل سمارة.

وتميز الكتاب كما هو أسلوب الأستاذ أحمد أبو خليل بالبداهة والتدفق في السرد، ما يجعله أيضا كتابا أدبيا ممتعا للقارئ، وذلك يزيد أهميته ويقربه من القراء وخاصة الشباب وغير المتخصصين بالتاريخ والسياسة، ما يجعل الكتاب جزءا من الثقافة الوطنية غير الرسمية.

يشكر المركز المؤلف الأستاذ أحمد أبو خليل على جهده المميز في إعداد هذا الكتاب، كما يشكر أيضا السادة الذين قدموا شهاداتهم والتي كانت أساسا لهذا الكتاب.

والله الموفق.

الأستاذ الدكتور زيد عيادات
مدير مركز الدراسات الاستراتيجية/الجامعة الأردنية

مقدمة

المقدمة بالمعنى المعتاد، التي يفترض أن تُعَرّف بالكتاب وتعرض محتواه باختصار، سوف يجدها القارئ في أول النص.

فقد حاولت أن أصيغ الكتاب، إلى حد ما، على شكل قصة. هكذا اجتهدتُ. ولهذا وضعتُ مقدمة هذه القصة في موقعها الطبيعي في النص. أما العناوين الفرعية التي سيلاحظها القارئ، فهي فقط لغايات التسلسل ولتسهيل القراءة، أو لتسهيل الانقطاع أو التوقف عن القراءة أو الانتقال بين الفقرات.

أود هنا فقط الإشارة إلى أن الكتاب محاولة في مجال إعادة قراءة سيرة الملك الراحل الحسين في ممارسته الحكم والقيادة في الشأن الداخلي، اعتمادًا على الروايات الشفوية بعيدا عن القرارات والوثائق الرسمية.

لقد طُرحت منذ زمن طويل قضية دور الأفراد في التاريخ. ولكن هذا الكتاب يزعم أنه يسعى لأخذ النقاش إلى مستوى آخر، أكثر بساطة ربما، يهدف إلى التعرف على دور وأثر التفاعل المتبادل بين الفرد القائد أي الملك، وبين شعبه ومجتمعه. إنه محاولة لتفسير ظاهرة الملك حسين باعتبارها تكثيفًا لسمات هامة في الاجتماع السياسي الأردني.

في الصورة التي اخترتها لتوضع على غلاف الكتاب -وقد التقطت في مطلع ستينات القرن العشرين- يجلس الملك على فراش أرضي مُسندًا ذراعه وجزء من جسمه على مخدة قماشية، وخلفه مباشرة يوجد طقم كراس (كنبات ذات مساند جانبية ومسند خلفي)، وكانت تمثل "موديلا" حديثًا في ذلك الزمن. إنها جلسة يحبها الأردنيون؛ فهي تعني إعطاء التقليدي الأهمية التي يستحقها ولكن من موقع التمكن من

حيازة الحديث. إن الكراسي الحديثة متوفرة، ولكن اختيار الجلوس في هذه الوضعية التقليدية التي توحي بالكثير من الثقة والارتياح والألفة، يعطي إشارات هامة. وبالطبع علينا الانتباه إلى أن للجلوس والمجالس في المجتمع الأردني والثقافة الأردنية، تقاليد صارمة، فهناك تراتبيات يجب مراعاتها، وهناك أسلوب لمناقلة الكلام، ويتوجب مراعاة الأدوار والمراكز لحاضري الجلسة، وفيما بينهم. إن قراءة صور الملك حسين في المواقع والمناسبات والظروف المختلفة تعد بحد ذاتها مادة بحثية غنية.

وفرت التجربة الشخصية الإنسانية للملك الراحل، والتي ستطالعون إطلالة عليها في صفحات الكتاب، فرصة له لكي يتعرف على أدق خصائص شعبه. والأمر، كما يؤكد من عايشوه لم يكن مجرد مشهد يؤدى أمام الناس، بقدر ما كان أسلوبًا للحكم والقيادة.

احمد أبو خليل

شكر

الشركاء في هذا الكتاب كثر، فإذا صادف أن استُقبِل بشكل حسن، فلكل منهم حصته الهامة في ذلك، على أني بالضرورة وبكل تأكيد أتحمل وحدي كل المسؤولية عن أي خلل أو ضعف.

أجريت خلال العمل عددًا من المقابلات مع شخصيات تبرعوا بسخاء كبير بوقتهم ومعلوماتهم، ويشاهدتهم التي ورد بعضه في متن الكتاب وأخرى ساعدتني في فهم الظاهرة التي أكتب عنها، لهم جميعًا جزيل الشكر. أذكر منهم، وفق الترتيب الأبجدي لأسمائهم:

1. أحمد عبيدات، رئيس الوزراء الأسبق ومدير عام دائرة المخابرات العامة الأسبق.
2. أكرم مصاروة، أحد المدراء في مؤسسة رعاية الشباب.
3. جهاد غرايبة/ نقيب متقاعد/ الحرس الملكي.
4. حمدان الغرايبة، عميد متقاعد، وقد أسهم أيضًا في تنظيم بعض المقابلات المهمة.
5. أسرة شاهر أبو شحوت/ ضابط متقاعد، وهو رئيس الهيئة العليا لحركة الضباط الأحرار، ورئيس منظمة التحرير العربية الفدائية.
6. زيد حمزة، طبيب ووزير صحة أسبق.
7. سلوى العاص، مطربة أردنية عملت في الإذاعة منذ عام 1959.
8. سليمان القضاة، صحفي، نقيب صحفيين أسبق، ورئيس تحرير أسبق ليومية "الرأي".
9. ضافي الجمعاني، أحد مؤسسي وقادة حركة الضباط الأحرار. رئيس منظمة الصاعقة الفدائية في عمان.
10. عبد الحليم سمارة الزعبي/ رئيس نادي الرمثا الرياضي السابق.

11.عبد الله العتوم، صحفي، ومدير وكالة الأنباء الأرنية "بترا" الأسبق.
12.ليث الشبيلات، نائب أسبق ونقيب المهندسين الأردنيين الأسبق.
13.مجحم الخريشة، وزير ونائب سابق وعمل في الديوان الملكي.
14.محمد جميل عبد القادر، أول مذيع رياضي في التلفزيون الأردني.
15.محمد خالد الزعبي، عميد متقاعد/ الحرس الملكي.
16.ممدوح البشارات، شخصية عمانية وأحد أصدقاء الملك في طفولته.
17.مهنا الدرة، فنان تشكيلي من الرواد.
18.نمر الزناتي، شخصية سياسية واجتماعية.
19.هاني الحصاونة/ محام ووزير سابق ورئيس سابق للتشريفات الملكية.
20.الجفر/ البادية الجنوبية/ مقابلة جماعية.
21.صبحا وصبحية/ البادية الشمالية/ مقابلة جماعية.

وكنت قبل البدء بالعمل في هذا الكتاب، قد ناقشت المقترح الأصلي أولًا مع الدكتور محمد أبو رمان الباحث في مركز الدراسات الاستراتيجية، ثم طورنا النقاش مع رئيس المركز السابق الدكتور موسى شتيوي، واستكمل العمل مع رئيس المركز الحالي الدكتور زيد عيادات وبمشاركة الدكتور المهدي الرواضية والأستاذ الصديق ابراهيم غرايبة اللذين طالعا الكتاب وقدما ملاحظاتهما الهامة. لهم جميعًا جزيل الشكر.

وقد استفدت كثيرا من مذكرات مكتوبة بعضها أشرت إليه في متن الكتاب، وبعضها لم أذكره لكنه ساعدني على فهم كثير من الأحداث والظواهر.

وختامًا أشكر الأستاذة حنين ابداح على تدقيقها الكتاب، وعلى الملاحظات الهامة التي زودتني بها.

الجزء الأول
ظاهرة الملك الحسين

1- غير الرسمي

منذُ لقائه الأول مع شعبه، كَملك، وبمجرد أن رأى مستقبليه مِنَ العسكريين والمدنيين، الذين كانوا مُنتقين بعناية، ومُصطفّين في مشهد رسمي منتظم ومُعتنى به ومُعَدّ مسبقًا بدقة، في مطار المفرق[1] أولًا، ثم في مطارٍ عمان، قال الحسين في نفسه: «سأقوم بمحاولة جادة لجعلهم يَتَحلّلون من الرّسميات»[2]. لقد كتب الملك ذلك بنفسه، وهو يسجّل ويكتب تفاصيل ذلك المشهد في سيرته الذاتية المنشورة بالانجليزية أولًا، عام 1962م[3].

جرى ذلك اللقاء في السادس من نيسان عام 1953م، وكان الحسين يومها قادمًا من لندن بعد إكمال دراسته العسكرية. وكان قبل ذلك قد أُعلن ملكا في الثامن من آب من العام 1952م، خلفًا لأبيه الملك طلال، ولكنه (أي الحسين) لم يكن قد تولى رسميًا سلطاته الدستورية مباشرةً. وفي الواقع لقد كان عائدًا إلى الأردن لهذه الغاية، وذلك مع اقتراب اليوم الذي سيبلغ فيه السّنّ القانونية التي تؤهله دستوريًا لهذا الموقع، وذلك في الثاني من أيار 1953م.

يفيدِ أرشيف الصحافة في تلك الأيام، بأن الأجهزة الرسمية كانت فعلًا قد أعَدّت وأعلنت مسبقًا للعموم ومن خلال النشر في الصحف، برنامجًا تفصيليًا لاستقبال الملك في يوم وصوله، وكان البرنامج مُكونًا من 17 بندًا موزعة على أربع فقراتٍ أو خطوات زمانية ومكانية: الأولى في

1. المفرق (مدينة المفرق حاليًا) كانت تضم مواقع عسكرية بريطانية ومطارًا. إضافة إلى كونها مقر شركة النفط (آي. بي. سي)
2. الملك حسين، «ليس سهلًا أن تكون ملكًا» صفحة 42
3. نشر الملك سيرة ذاتية عام 1962 بالانجليزية في لندن بعنوان Uneasy lies the head أولاً ثم تُرجمت ونشرت بالعربية تحت عنوان "ليس سهلًا أن تكون ملكًا"/ الطبعة الثانية 2009/ عمان.

مطار المفرق حيث تهبط الطائرة القادمة من لندن، والثانية في المطار العسكري في عمان، والثالثة على الطريق من المطار إلى قصر بسمان، والرابعة والأخيرة في القصر ذاته. كانت الفقرات توضح مَن يكون في الاستقبال؟ ومتى؟ وأين؟ وكانت تشمل عشرات الشخصيات الرسمية، بالإضافة لعدد غير محدد وغير معروف لكنه منتظر ومتوقع حتمًا، من المواطنين[1].

غير أن الملك يتذكر أيضًا ملاحظةً أخرى مهمةً في السياق ذاته، وفي تلك المناسبة عينِها؛ فقد لاحظ أن الاستقبال بجانبه الشعبي في اليوم نفسه، وخاصة في خطوته أو مرحلته الأخيرة، أي في الطريق بين مطار عمان وقصر بسمان، قد تجاوز "الرسميات" بمبادرة وإصرار من المشاركين فيه من غير الرسميين، أي من المواطنين العاديين. فقد اندفع الجمهور بلا ترتيب نحو موكب الملك وسيارته، إلى درجة أن الجنود عندما رأوا انعدام حيلتهم في الحفاظ على النظام، "انضموا إلى الزّفّة"، وفق التعبيرِ الذي استخدمه الملكُ نفسُه، وقد كانت هذه "الزّفّة" في الواقع، استقبالًا جماهيريًا عفويًا في أغلب عناصره، وسيتكرر هذا المشهد عشرات المرات في مواقع مختلفة في المملكة في السنوات اللاحقة.

ابتداءً من هذه اللحظة، سوف يواصل الملك مع شعبه سيرةً "غيرَ رسميةٍ" تتألف من عدد لا يُحصى من المشاهد والمواقف مع مواطنيه في شتّى المواقع. وقد تحوَّلت هذه المشاهد إلى حكايا لا تنتهي، جَمَعَت الملك مع ألوف الناس، أفرادًا وجماعات، وأصبحت جزءًا حميمًا من ذاكرتهم وذاكرة أسرهم ومناطقهم؛ في القرى والبوادي والمدن والمخيمات والمعسكرات والجامعات والمدارس والشوارع والملاعب... إلخ.

1. صحيفة «الدفاع» 2 نيسان 1953

غير أن تلك "الحكايا" مع الملك حُسين، في الواقع، لا تبدأ هنا فقط، فهو قبل أن يُعلَن أو يُتوّج ملكًا، كان طفلًا وفتًى وتلميذًا بين أطفال وفتيان وتلاميذ مدينة عمان الصغيرة، وقد رافقه عددٌ كبيرٌ منهم على المستوى الشخصي حتى سن الثالثة عشرة، وسكنوا في جوار بيته، ودرسوا معه صفوفَهم الأولى، ولعبوا معه، وزاروه في بيته، وزارَهم في بيوتهم، ذلك أن أسرة الملك حسين المباشرة، أي عائلة الأمير (ومن ثم الملك) طلال، كانت تقطن في بيتٍ مستأجرٍ في جبل عمان، يقع تمامًا بين بيوت المواطنين، مع ما يعنيه ذلك من اختلاط وعلاقات جيرة عادية إلى درجة كبيرة، كما سيتضح لاحقًا.

على العموم، سوف تقتصر صفحات هذا الكتاب على "الشفوي" أو بالأحرى "غير الرسمي" في سيرة الملك حسين، ولكن في الشأن الداخلي الوطني فقط، أي على تلك الأحداث والمواقف المتنوعة مِنْ حيث قيمتها وموضوعها، والتي لم تكن تتطلب أو ربما لم تكن تحتمل التوثيق، أو كانت صعبة التوثيق، في سيرة الملك، داخل وطنه وفي مجتمعه. وهذا يعني أن الكتاب لن يتطرق إلى ما هو شفوي، أو غير شفوي، في علاقات الملك والأردن الخارجية، من جهة لأنه غَلَبَ على تلك العلاقات الخارجية، وبالضرورة ربما، الجانبُ الموثق، المعلن أو غير المعلن، على عكس الحال في الشأن الداخلي، ومِن جهة أخرى، بسبب تشعُّب واتساع وتنوع وتبدل العلاقات الخارجية الأردنية وامتدادها طوال عهد الملك حسين، أي خلال حوالي نصف قرن. يُضاف إلى ذلك ما تميزت به علاقات الملك الخارجية من خصوصية وتكتم وانفراد أحيانًا، وهو ما يجعل مهمة متابعتها، مهمةً كبيرةً وشاقةً، وتحتاج لجهود بحثية خارج نطاق مهمة هذه الصفحات وإمكانات كاتبها.

إن ما هو "شفوي" في الإدارة السياسية الداخلية عند الملك المرحوم، وعند رجال السياسة الأردنيين الذين قادوا بلدنا طيلة ذلك الزمن، وخاصة في العقود الأولى من حكم الملك حسين، كان جزءًا مرافقًا رئيسيًا لما هو "مُوثّق" ومكتوب. لقد توازى ما هو "غير رسمي" في تاريخ بلدنا مع ما هو "رسمي"، وسوف يسعى هذا الكتاب إلى الكشف عن جوانب من هذا التاريخ "غير الرسمي" لبلدنا، الذي كان مكمّلًا ومتكاملًا مع التاريخ الرسمي.

هذا لا يعني إعلاءً أو تفضيلًا أو تحيّزًا وتمييزًا، للعمل الجاري خارج المؤسسات، أي "غير المؤسسي" (باعتبار أن ما هو غير رسمي ينطوي عادة على تجاوز للمؤسسية). إن المسألة في الأردن لم تكن بهذه المباشرة والبساطة، ما دمنا نتعامل مع تاريخ يتصل بمجتمع وبشعب، أي بمجموعة بشرية حيّة في ظروف محددة وفي سياقات تاريخية واجتماعية وثقافية ملموسة ومشروطة بسياق أشمل يضم هذا الجزء من العالم الذي نتواجد فيه.

إن الشفوي أو غير الرسمي عند الملك الراحل حُسين، كان بالإجمال معادلًا أو مماثلًا لما هو عَمَلي ومباشر و"إنساني" في أحيان كثيرة، مع التأكيد على أن مفهوم "إنساني" هنا لا يقتصر على ما هو شخصي أو عاطفي فقط، كما قد يتبادر إلى الذهن. إذْ من الواضح أن الملك ورجال إدارته، وخاصة في العقدين الأولين من حكمه، أي في الخمسينات والستينات من القرن الماضي، قرروا أن يمارسوا مهامهم بصيغة تتصالح، وتلتقي، وتحترم، بل وتخضع أحيانًا، أو تستجيب، لتركيبة المجتمع وثقافته، وهو مجتمع شهد العديد من التغيرات والأحداث عميقة التأثير على مجريات الإدارة العامة. كما لم تتوقف (منذ تأسيس الدولة وإلى الآن) عملية التنويع في مكوناته الثقافية والاجتماعية والسياسية. ومن المفيد والضروري الإشارة هنا إلى أن هذا المنحى من الإدارة، لم يكن

على الدوام ذا نتيجة إيجابية، فمن الطبيعي أن يكون لحضور ما هو شخصي أثر سلبي في حالات عديدة.

يكتب إيريك سيلبين أستاذ العلوم السياسية المهتم بالحركات والثورات الاجتماعية، في كتابه "الثورة والتمرد والمقاومة"، والذي يحمل عنوانًا فرعيًا لافتًا هو"قوة الحكاية" ما يلي:

«هناك تاريخ آخر، متجذر في إدراك الناس لما تُواصل الحياةُ الكشف عنه، ولموقعهم من هذه العملية. هذا تاريخ صاغته أيدولوجيات الناس، والآراء التي يعتنقونها، وهو يعكس السياق المادي والأيدولوجي للحياة اليومية للناس، تاريخ يَجري استلهامُه وصياغتُه بالأدوات المختلفة للثقافة السياسية الشعبية». ثم يضيف، إن الحكايا تساعد على تقديم «تفسير أفضل للأفعال الانسانية الأساسية»[1]، إلى أن يستنتج أنه: "إذا كانت حقيقتنا البيولوجية هي التي تجعلنا آدميين، فإن حكايانا هي التي تُقرر مَنْ نكون كشعب"[2].

لقد اختار الملك أن يصنع صيغته الخاصة من ممارسة الحكم. ويطرح هذا الكتّابُ فرضية تقول؛ إن ذلك شَكّلَ أسلوبَ الملك في فهم الحكم، الذي بمقابله، وبالتفاعل معه، تَشكّل أسلوبُ الشعب في فهم الملك كحاكم، وهو ما يزال يلقي بظلاله على علاقة الشعب الأردني بالدولة والسلطة ككل.

إن قضية تنوع أشكال السلطة والحكم وفق تنوع الثقافات، بما يعني عدم الاكتفاء بالنموذج الذي بني في الحضارة الغربية كمرجع دولي وحيد وشامل، هي مسألة مطروحة للنقاش. وفي هذا السياق يطمح

1. إيريك سيلبين: الثورة والتمرد والمقاومة.. قوة الحكاية. ترجمة: أسامة الغزولي. المشروع القومي للترجمة/ القاهرة/ 2012 صفحة 34.

2. المرجع السابق، صفحة 29.

هذا الكتاب في أن يكون إسهامًا متواضعًا أو محاولة أولية لتقديم تجربتنا ورؤيتنا الوطنية الأردنية في هذا الميدان، وبالطبع من دون غض النظر كثيرًا، عن تواضع حجم بلدنا ودوره على المستوى العالمي.

وفي كتابهما المشترك "السياسة المقارنة"، كتب عالما الاجتماع السياسي، برتراند بادي وغي هيرت أن: "السلطة والمشروعية أو السياسة، لا تعني الشيء نفسه في كل مكان، وأن بإمكانها أن تتحقق هنا وهناك بأشكال مختلفة، وأن تحيلَ بالتالي على أنظمة ذات توجهات وإنجازات متنوعة جدًّا، بل ومتناقضة"[1].

لقد عمد الملك حسين إلى صياغة "تَرْكيبة" من الشرعيات، وتَنَقّل بين عناصرها بمرونة عالية، وقد برز ذلك بوضوح، وبشكل خاص، بعد أن تجاوز سنواته الأولى في الحكم، ويتعين على الباحث في خصوصية حالة الاجتماع السياسي الأردني، أن يواصل دومًا الالتفات إلى ذلك. إذ لم تكن الشرعية الدينية على سبيل المثال، تكفي وحدها في مجتمع تحضُر فيه العشيرة والقبيلة بقوة، ولهذا ظلت مفردة "عشيرتي"، مثلاً، حاضرة في خطاب الملك الوطني الموجه للداخل، وفي عقد التسعينات أطلق الملك على صالات الاستقبال في باحات قصر رغدان تسمية "مضارب بني هاشم"، ووضعت يافطات تشير إلى ذلك في الشوارع المؤدية إلى الموقع. لكن الملك حسين، وبالتوازي مع هذا، أدار عملية "تحديث محافظ"، وفق تعبير برتراند بادي وغي هيرت[2]، تَمكّن من خلاله من إجراء اقتباسات "حديثة" حلت محل البنى التقليدية التي لم تعد صالحة، في ظروف معينة، أو ترافقت وتزامنت مع ما هو صالح وضروري منها.

1. براتراند بادي وغي هيرمت «السياسة المقارنة» صفحة 287 ترجمة عزالدين الخطابي/ المنظمة العربية للترجمة 2013.

2. المرجع السابق، صفحة 355.

وربما لعبت الظروف الخاصة لنشأة الملك السياسية، وتنشئته الأسرية، ووجود فريق مماثل ومشارك من السياسيين، دورًا في تشكيل تلك الصورة الخاصة للحكم في الأردن.
تأمل الصفحات اللاحقة من هذا الكتاب أن تسهم في توضيح كيف مُورس ذلك في الواقع العملي...

في هذه اللحظة، قد يكون من المناسب الإشارة إلى أن الكتاب، سوف يتخذ الشكل البسيط التالي، محكومًا بالطبع، بظروف البحث، ومحدودًا بقدرات الباحث الشخصية:

يتألف الكتاب من جزأين رئيسيين متساويين في الحجم تقريبًا: في الجزء الأول، تطالعون ستة عناوين تبدأ بمحاولة للبحث عن جذور فكرة "الشفوي" أو "غير الرسمي" في الإدارة السياسية الأردنية، والمعنى الذي حمله هذا الخيار أو هذا الطريق، ابتداءً من سنوات التأسيس الأولى، مع إطلالة على طابع المجتمع أو المجتمعات المحلية التي كانت قائمة آنذاك، وكيف تفاعلت السلطة الجديدة "الإمارة/ والانتداب البريطاني" مع السلطات المحلية والمكونات الاجتماعية في ذلك الزمن.

ثم يتناول جوانبَ من الميراث الشفوي الذي ورثه الملك حسين عن جده وأبيه، ويتفحص بشكل أكثر تفصيلًا -نسبيًا- تشكّل ونمو شخصية الملك واعتماده الصلات غير الرسمية "الشفوية" في إدارته، لا سيما في المجالات التي تحتمل ذلك أو تتطلبه. وتقترب بعض العناوين من تفاصيل أخرى، مثل: علاقة الملك بالحشود الجماهيرية، وأسلوبه في التعامل مع أنصاره ومعارضيه. ويتابع ذلك حتى مطلع عقد السبعينات، الذي يَفترِض الكتاب أنه الزمن الذي اكتملت فيه مواصفات حكم الملك حسين وأسلوبه في الإدارة الوطنية الداخلية.

في الجزء الثاني من الكتاب تطالعون عددًا من الشهادات أو "الحالات" التي جُمعت من شخصيات وافقت على إجراء مقابلات لغاية إعداد هذا الكتاب، وعدد أقل من الشهادات التي قدّمها أصحابها في مناسبات أو منشورات أخرى. وقد اختيرت الشهادات بمعيار وحيد، وهو افتراض كونها ممثلة لعناصر أو جوانب رئيسية في موضوع هذا الكتاب.

بهذا، فإن الكتاب ليس بحثًا علميًا عالي الرصانة، ولا يقدم نفسه كمرجع متماسك أمام الباحثين، إنه كتاب في الثقافة العامة، يقترح زاوية نظر جديدة ربما، وقد تستدعي النقاش والتوسع من قبل مختصين، لكنه يستهدف بالأساس القارئ المهتم بما هو خلف المشهد السياسي الرسمي، أو ربما بالمسافة بين الرسمي و"الواقعي"، أي غير الرسمي غالبًا.

كمصادر لمادة هذا الكتاب، أجريتُ لقاءات خاصة أثناء البحث لإنجازه، مع عديد من الشخصيات من مواقع مدنية وعسكرية، موالية ومعارضة، كما اعتمدتُ على ما كتبه الملك حسين بنفسه في كتابيه المعروفين: "مهنتي كملك"، و"ليس سهلًا أن تكون ملكًا". واعتبرت ما ورد عن الملك من قبل شخصيات عديدة، في المذكرات والسير الذاتية التي نشرت مؤخرًا، جزءًا من التاريخ الشفوي الخاص بالملك.

كما كتبت الزميلة ملك التل كتابًا مخصصًا، بعنوان "ملك يختزل عنفوان النص" قدمت فيه شهادات لعدد كبير من الشخصيات التي كانت حول الملك، كما نشر طارق أبو الراغب كتابًا بعنوان: "شخصيات تتحدث عن الحسين" وقد أورد فيه نصوص مقابلات أجراها الكاتب حول الملك أثناء حياته، وقد استفدت كثيرًا من محتوى هذين الكتابين، كما استمعت إلى عشرات اللقاءات المسجلة والمصورة مع الملك أو مع شخصيات تحدثت عن الملك. إضافة إلى بعض ما كتب من مذكرات تضمنت شهادات شخصية عن الملك، كما في كتاب أفي شلايم "أسد

الأردن" وكتاب "من عبدالله إلى حُسين" لروبرت ساتلوف، وكتاب جيمس لينت "الحسين.. سيرة حياة"، وكتاب "مستشار الملك" لجورج أوكونيل.

إضافة لذلك، عدتُ إلى أرشيف الصحافة المحلية، وخاصة في الفترة التي كانت التغطيات الصحفية تتخذ شكل القصة المحكية، أو تكون على شكل مشاهدات يرويها المندوب الصحفي وتتضمن انطباعاته الشخصية، مما يجعلها بالتالي أقرب إلى وضعية المصدر الشفوي.

غير أنه تبْقى ملاحظتان جديرتان بالذكر: الأولى، أن بعض الذين وافقوا على إجراء مقابلات، أشاروا مسبقًا، إلى مستوى من الانتقائية في شهاداتهم، فيما فَضّل بعضُهم عدم نشر بعض المعلومات والاكتفاء بتزويدي بها لمساعدتي في الفهم والتحليل. أما الملاحظة الثانية والأهم؛ فهي أن كثيرين اعتذروا، بوسيلة أو بأخرى -وللأسف- عن تقديم شهاداتهم، وهذه واحدة من صعوبات البحث المحلي من قبل باحث أردني في الشؤون الأردنية التي تُصنّف كمواضيع حساسة رغم أنها أصبحت جزءًا من التاريخ البعيد نسبيًا، ويبلغ الأسف مدىً أعلى، إذا عرفنا أن شخصيات عديدة احتلت مواقع حساسة بالفعل، كانت قد أعطت وبسخاء، شهادات لباحثين أجانب اشتغلوا على هذا الموضوع وغيره، ونشروا في كتبهم معلومات ذات حساسية عالية أحيانًا، وقدمت بأسماء أصحابها، وهي للمفارقة كتب منشورة ومرخصة ومتداولة محليًا.

أرجو أن يكون هذا الكتاب الصغير نداءً أو حافزًا على إعادة النظر بذلك.

2 - إرث الجد والأب

يُعد "الشفوي" مكونًا رئيسيًا في مجمل تاريخ الأردن بما في ذلك العاصمة عمان، وخاصة خلال العقود الأولى بعد تأسيس الإمارة، والواقع أن حال عمّان منذ أن أعلنت مركزًا أو عاصمةً للإمارة، لم يكن يسمح، أو ربما لم يكن يتطلب، الكثيرَ من التوثيق، فهي بلدة صغيرة، بدأت بعدد سكان يتراوح حول ثلاثة آلاف مواطن ومواطنة في العام 1920م، وبعد ثلاثة عقود كان عدد السكان فيها يدور حول الرقم خمسة وثلاثين ألفًا، قبل أن يشهد قفزتَه الكبيرة في نهاية عقد الأربعينات ومطلع الخمسينات، مع أول موجة لجوء بعد نكبة فلسطين عام 1948م.

فالأمير المؤسس عبدالله، كان عند أول استقراره في عمان قد أقام وسكن في عدد من الخيم أقامها شرق عمان في تَلّة ماركا، وهي المنطقة التي تعد اليوم جزءًا من منطقة ماركا الشمالية، وذلك بعد بات ليلته الأولى في غرفة تعود لأحد موظفي محطة سكة الحديد قرب ماركا[1]. صحيح أن مخيم الأمير كما تفيد الصور والمعلومات المتوفرة، كان مصممًا بشكل جيد ومختلف عن الخيم الاعتيادية، فقد كانت الخيم فيه أكبر حجمًا وأكثر أناقة مما هو دارج، وذات لون أبيض، فهي بالطبع، خيم أمير ومقره الرسمي. ثم أُلحِقَ بها مهبط طائرات بسيط كان يستخدمه الضباط الانجليز والزوار من الخارج، لكنها في النهاية تبقى خيمًا، يزورها مَنْ يريد مِنَ الناس، وظلت لزمن طويل تُعدّ "مَضافة" مفتوحة للزعماء والوجوه والضيوف، كما كان الأمير يَعقد فيها اجتماعاته الرسمية.

1- يصف خير الدين الزركلي في كتابه "عامان في عمان 1921-1923" تفاصيل قدوم الأمير من معان إلى عمان في الثاني من آذار عام 1921، وأنه بعد حفل الاستقبال الذي أقيم له في ملعب المدينة التاريخي (ملعب المحطة) اتخذ من بيت لأحد موظفي محطة سكة الحديد مسكنًا له، فيما أقيمت بعض الخيم للمرافقين في الوادي القريب. راجع الصفحات 65-72.

لم يكن مخيم أو مجلس الأمير مقرّا أو مجلسًا رسميًا، بالمعنى المتعارف عليه لمقر الحاكم، الذي يمارس فيه مهامه الرسمية فقط، بقدر ما كان "ديوانًا" يشبه إلى حد كبير دواوين ومضافات الوجهاء والشيوخ، لقد كان في البداية مفتوحًا بالكامل، حيث بمقدور مَن يريد أن يتوجه إليه في الوقت الذي يختاره، وبعد زمن ومع ازدياد المهام، احتاج الأمير لأن يُعلِن، وبعد سنتين من قيام سلطته، وفي الجريدة الرسمية، عن أيام محددة في الأسبوع لا تجوز فيها زيارة الأمير بلا موعد مسبق[1]، مع بقاء بعض الأيام مفتوحة كما هي، ثم احتاج في زمن لاحق، لأن يعلن للعموم أنه على المواطنين أن يتوجهوا بطلباتهم للجهة الرسمية المعنية وألا يتوجهوا لمقر الأمير أو للأمير مباشرة[2].

لا تقتصر هذه الملاحظة المتصلة بالبعد الشخصي في علاقة الأمير بالناس، على ما عرف عن الأمير من مجالس أدبية ثقافية، ولكنها شملت أيضًا إدارة الشؤون العامة بما فيها تلك الشؤون الحساسة، وقد لاحظ الضابط البريطاني كيركبرايد أن الأمير "لم يفقد طيلة حياته، طرق الحياة البدوية، ومعالجة مشاكل الدولة بأسلوب أبوي، ولكن فيه طابع التفرد"[3].

في مذكراته، يكتب اللواء حكمت مهيار (1916- 2013)، رجل الأمن الشهير الذي كان قريبًا من الأمير منذ منتصف ثلاثينات القرن العشرين: "كان زعماء العشائر ووجوه البلاد والأدباء والمثقفون يذهبون كل يوم جمعة للسلام على الأمير عبدالله ويتحول اللقاء إلى مجلس للأدب والثقافة"[4].

1. الجريدة الرسمية/ الشرق العربي/ 3 أيلول 1923
2. الجريدة الرسمية/ الشرق العربي/ 7 تموز 1928
3. في خير الدين الزركلي/»عامان في عمان»، صفحة 8.
4. مذكرات اللواء حكمت مهيار/ إعداد عمر العرموظي/ 2012 صفحة 30.

لقد عاش مقر الأمير مشاهد سياسية ذات طابع "بدوي" بالكامل، من بينها مشاهد خلافات تبدو غريبة إذا نظر إليها كمواقف تجري في مراكز إدارية معاصرة "اعتيادية". وعلى سبيل المثال، ووفق ما سجله العميد المتقاعد بادي عواد الرديني في مذكراته؛ فقد غادر الزعيم الوطني حسين الطراونة، مرة أثناء نقاش مع الأمير إلى مدينته الكرك غاضبًا من الأمير، وتضامن معه باقي الحضور وغادروا، فلحق بهم الأمير، كي يصلحهم وينهي الخلاف[1].

ثم يتكرر المشهد ذاته تقريبًا في عام 1928 عند نقاش واحد من أكبر الأحداث السياسية الوطنية حينها، وهو المعاهدة الأردنية البريطانية، ثم الانتخابات التي رافقتها، وهي الانتخابات الأولى للمجلس التشريعي الأردني، الذي أنشئ أصلًا بهدف التصديق على تلك المعاهدة كمهمة أولى. إنه الحدث الذي شهد واحدة من أبرز موجات المعارضة الحادة المنظمة إلى حد كبير، كما شهد حالات الاختلاف بين الأمير وأنصاره والإنجليز من جهة، وبين زعماء بارزين في البلد من جهة أخرى. وعلى سبيل المثال، تروي صحيفة "الجامعة العربية" التي كانت تصدر في القدس، أن الأمير كان في استقبال زعماء عجلون[2] والسلط، وأن

1. ينقل بادي عواد الرديني عن والده: "في سنة ثورة كليب الشريدة، كان الأمير عبدالله قد دعا شخصيات الأردن للالتقاء عنده في الديوان العامر، وفي الأثناء قام سموه بمخاطبة الجميع: هل يرضيكم يا وجوه الخير أن كليب الشريدة يريد أن يصبح أميرًا عليكم مكاني؟
عندها نهض الشيخ حسين الطراونة متسائلًا: هل قمت يا سمو الأمير بشتم كليب الشريدة؟! واحتد النقاش بينهما إلى درجة أنهما تشابكا، فألقى الطراونة "لفحته" على الأرض تعبيرًا عن غضبه.
اندهش الحضور وبادروا بحجزهما عن بعضهما البعض، ليغادر بعدها حسين الطراونة راكبًا فرسه إلى الكرك. وأعقب ذلك أن رفيفان المجالي نهض غاضبًا، وقال: والله من ضرب حسين الطراونة كأنه ضربنا جميعنا" / الأردن لمن؟ بادي عواد الرديني يخلي ضميره ويتحدث/ 2011 مطابع الدستور. صفحة 27.

2. كان لواء عجلون يضم كل محافظات الشمال اليوم (جرش وعجلون واربد والمفرق).

النقاش كان صريحًا وحادًا، وأن أحد الزعماء وهو علي نيازي التل،غضب من عبارة قالها الأمير وغادر المجلس بلا استئذان، ولحق به آخرون ولكن باستئذان! ولم يهدأ الخلاف إلا بعد أن أصلحهم الأمير وطيّب خواطرهم، ودعاهم إلى وليمته التي مع هذا غاب عنها التل[1].

ولم يقتصر تفاعل الأمير عبدالله المباشر مع الناس على مقره ومجلسه، ففي الواقع كانت المدينة، عمان، صغيرة إلى درجة أن تفاصيل مركزها السياسي والاقتصادي كانت تقع على مرأى من الجميع؛ فبعد سنوات قليلة تلت تأسيس الإمارة، انتقل المقر إلى مبنى صغير يقع مباشرة أمام المدرج الروماني وسط المدينة، وإلى جانبه أقيمت مدرسة ابتدائية قديمة وشهيرة كان اسمها "المدرسة العسبلية"، فكان الأمير يوميًا في طريقه إلى عمله يمر أمام المدرسة ويشاهد، وقد يشرف بنفسه، على الطابور الصباحي للتلاميذ، بل إن التلميذ الذي كان يرتكب مخالفة، ويطرده المعلم، كان بمقدوره أن يلجأ إلى مقر الأمير، كي يتوسط له عند المعلم الغاضب[2]! كما كان الأمير مواظبًا على الصلاة كل يوم جمعة في المسجد الحسيني مارًا بين جموع الناس، وفي الأثناء، قد يتدخل فينصح أحدًا أن يزيل النفايات من أمام بيته مثلًا، أو ينتقده لأنه خرج من بيته بملابس النوم![3]، أو يتوقف عند عامل في الشارع فيلاطفه ويحادثه[4].

1. صحيفة الجامعة العربية/ عدد 133/ 17 آذار 1928.
2. محاضرة للسيد محمد نزال العروطي (عمان أيام زمان)
3. كامل أبو جابر في حلقة تلفزيونية.
4. روى أحد أبناء حي الطفايلة من جيل مؤسسي الحي في مطلع ثلاثينات القرن العشرين، أنه وبينما كان يعمل في أعمال رصف أحد الشوارع، وكانت تستلزم تكسير الحجارة الكبيرة، بواسطة "مَهَدّة" ثقيلة، أنه ذات يوم وقف رجل إلى جانبه، وسأله: لماذا يخرج منك صوت "هِهْ" مع كل ضربة، فانتبه وإذا به الأمير، فأجابه إن ذلك يريحه، فقال له الأمير: أنا أستطيع أن أضرب من دون أن أقول "هِهْ"، فجرب ووجد نفسه في الضربة الثاني يقول هه، فحيّاه ضاحكًا وغادر. (راجع «حي

وكغيره من شيوخ المنطقة، كان الأمير برفقة عدد من رجاله يخرج على فرسه يتجول في الجبال والسهول المحيطة، فيقف عند مجموعة خيم لرعاة أو مَرَدٍّ لعشيرة ما، وخاصة من العشائر التي كانت تقيم حول العاصمة، وعلى سبيل المثال، يروي كاتب سيرة الشاعر عبدالله اللوزي، أكثر من حكاية جمعت بالصدفة الشاعر مع الأمير في مضارب عشيرة اللوزيين الواقعة في منطقة الجبيهة التي كانت تعد بعيدة عن مركز العاصمة[1].

لم يختلف الحال كثيرًا مع الأمير طلال والد الحسين، الذي كان على صلة وثيقة بكثير من أوساط الشباب على وجه الخصوص، ومن بينهم الشباب المعروفين بعدائهم للانجليز، حتى إن شخصية مثل الدكتور نبيه إرشيدات، (وهو على الأغلب أول أردني ينخرط في النشاط الحزبي الشيوعي آنذاك عن طريق علاقته بالحزب الشيوعي السوري)، يقول إنه ذات يوم في العام 1941 وعند انطلاق ثورة رشيد عالي الكيلاني ضد الإنجليز في العراق، زار الأميرَ طلالا وعرض عليه فكرة قد تبدو غريبة في العلاقات بين مواطن وحاكم، يقول نبيه: "بحثت مع محمد هنداوي وسلمان القضاة (من زملاء إرشيدات) بأمر الانضمام لهذه الثورة فوافقا، وقد أخبرتهما بأني سوف أذهب لزيارة الأمير طلال وأخبره بالأمر، وأتوجه إليه للذهاب للانضمام للثورة وقيادتها، فذهبت إليه، وقلت له إن الثورة حدث عربي وكبير، وإذا ذهبتَ يا سمو الأمير،

الطفايلة.. الهجرة من الفقر إلى الفقر» أحمد أبو خليل/ في التاريخ الاجتماعي الأردني/ مؤلف جماعي).

1. «في صيف عام 1944، كان الأمير يمر بموكبه من الجبيهة، وكان الوقت غروبًا، وكانت مضارب اللوزيين قد علقت المصابيح أمامها، قال الأمير لمرافقه مخلد الذيابي إنه سيفاجئ العشيرة بزيارة، ودخل، ثم سأل عن بيت الشعر ونقوشه، وصار يسأل الفتيان ويجيبونه.. وتناول القهوة وغادر، ونظم في ذلك قصيدة نقلها لهم مرافقه. (المصدر: بدايات وطن: سيرة الشيخ عبدالله اللوزي 1900-1976 من إعداد عمر اللوزي).

سوف ينضم إليها عدد كبير من الشباب العرب، وسوف نحرر العراق من الإنجليز، ثم نذهب إلى سورية ونحررها من الاستعمار الفرنسي، ثم نأتي إلى الأردن ونطرد الاستعمار البريطاني، ونقيم أول دولة عربية محررة، فنظر إليّ مُتعجبًا وقد أثر حماسي فيه وفكر قليلًا، وقال: "خلينا نفكر يا نبيه". ولكنهم بعد يومين سمعوا خبر مغادرة قائد تلك الثورة إلى طهران مهزومًا»... ثم يضيف إرشيدات: "واقتراحي بأن نعرض على الأمير طلال الذهاب معنا لم يكن ابن ساعته، بل لأن الأمير طلال كان على الدوام يستقبل الشبان الوطنيين وكان يدعم الثورة الفلسطينية ويساعد على إيصال الأسلحة إلى رجال الثورة"[1].

من جهته، كتب الروائي العربي عبد الرحمن منيف، الذي عاش عقد الأربعينات من القرن العشرين في عمان، في كتابه "سيرة مدينة.. عمان في الأربعينات" ما يلي بخصوص الأمير طلال: في يوم نزلت فيه الثلوج وتراكمت في عمان: "يلتقي تلاميذ (مدرسة) العبدلية بالأمير طلال، وكثيرًا ما حصل ذلك، إذْ كان يتمشى على رجليه، وأغلب الأحيان بمفرده، وحين يلمحون الابتسامة على وجهه، لا يترددون في أن يرشقوه بكرات خفيفة (كرات ثلج)، فيرد عليهم بالمثل ويستمر الأمر بعض الوقت إلى أن يقول: كفى. ويمضي ويمضون"[2].

ومن المفيد ذكره هنا، أن أول حالات التوثيق للإجراءات والقرارات حصل من خلال جريدة صدرت في عمان، اسمها "الشرق العربي"، وكانت لها خصوصيتها كصحيفة، فقد عرفت نفسها كالتالي: "الجريدة الرسمية لحكومة شرق الأردن" ولكنها كتبت على رأس صفحتها الأولى بأنها "تقبل المقالات العملية والفنية والأدبية. وقد صدر عددها الأول

1. أوراق ليست شخصية مذكرات نبيه رشيدات، دار الينابيع، 2001، صفحة 42-43.
2. عبدالرحمن منيف، سيرة مدينة، صفحة 65.

بمناسبة الاستقلال في 25 أيار 1923[1]، وكانت "الشرق العربي" جريدة رسمية تنشر ما يصدر عن المركز، لكنها أيضًا كانت تنشر الأخبار والأشعار والكتابات الأخرى وخاصة الأفكار ذات الطابع "التأسيسي"، حيث خصصت فيها زوايا ثابتة لتوضيح المفاهيم الجديدة للإدارة وبناء المجتمعات والدول وأحوال الزراعة والحرفة وتنظيم الإدارة. أما اسمها أي "الشرق العربي"، فهو الاسم الذي أطلق على منطقة شرق الأردن في الفترة الأولى (قبيل وبعد إنشاء الإمارة). وكانت الصحيفة كذلك تنشر أخبار الأمير الشخصية وأخبار رجال الإدارة العليا والإعلانات الرسمية وشبه الرسمية والخاصة، فعلى سبيل المثال، عندما أضاع أحد قادة الجيش محفظته وحقيبته فإن الخبر نشر في الجريدة الرسمية! كما كانت تنشر أحكام المحاكم والقضاء والتبليغات القضائية، وأخبار الحوادث، في العاصمة والمراكز الحضرية الناشئة.

إن عمان كانت تتحرك بالتدريج وببطء نحو اكتمال دورها كعاصمة وكمركز، لقد ظلت القرى والمناطق البعيدة تدار كمجتمعات محلية في أغلب المجالات، بما فيها أمور هامة، كخدمات التعليم والصحة وتوفير المياه، بالتدريج كانت الدولة تزداد حضورًا سنةً بعد أخرى وببطء، وكان المركز الإداري في عمان، يتألف من دوائر مركزية محدودة العدد والمهمات، بحيث أن الحكومة ككل كانت تُعرّف رسميًا بتسميات بسيطة مترجمة غالبًا، مثل مجلس "المشاورين" أو "المستشارين" أو "النُظّار" أو "الوكلاء"، وكانت كل من هذه الدوائر "الوزارات"، معززة بموظف أو أكثر، مدني أو عسكري بريطاني، أو بموظفين مُعارين من حكومة الانتداب البريطاني في فلسطين، باعتبار أن إدارة المنطقتين، تقع بيد

1. ظل الأردن يحتفل بالخامس والعشرين من أيار 1923 كيوم استقلال، لأن بريطانيا كانت في هذا اليوم قد اعترفت بإمارة شرق الأردن، إلى أن جاء عام 1946 حيث أعلن في اليوم نفسه (25 أيار 1946) قيام المملكة كدولة مستقلة.

طرف واحد هو بريطانيا، وذلك رغم صيغة الاستقلال، الشكلي إلى حد كبير، التي مُنحت لشرق الأردن منذ العام 1923م وتعززت مع إبرام المعاهدة بين الإمارة وبريطانيا بصيغتها الأولى عام 1928م.

حتى سنوات متقدمة من العقد الأول من عمر الدولة، أي عقد العشرينات، كان الأمير عبد الله، من الناحية الرسمية، (بالنسبة إليه على الأقل) يحكم نيابة عن والده الملك حسين بن علي في الحجاز ثم نيابة عن أخيه الملك علي بن الحسين (كان الملك حسين بن علي قد تنازل عن اللقب لابنه علي، بناء على تفاهمات وظروف الصراع داخل الجزيرة العربية)، وكان علم مملكة الحجاز يرتفع فوق مخيم الأمير، وبالتدريج أخذ الأمير عبد الله يقتنع بحدود إمارته، إذ كان قبل ذلك يتوجه في خطبه للأردنيين بالقول: أنا لكم مثلما أنا للشام والحجاز واليمن.. وفي الشؤون السياسية الهامة، كان الزعماء المحليون، أحيانًا، يخاطبون المندوب السامي أو المعتمد البريطاني مباشرة أو عبر الأمير، الذي يتلقى الردود ويبلغها لهم، ثم يبلغهم ردود المندوب أو المعتمد.

هذا ما يفسر أن الأمير لم يكن يمارس يومه كحاكم بالمعنى الإداري والسياسي الكامل، بل كان "أميرًا"، بما يحمله المنصب من صور وطقوس، بل إن زياراته الأميرية الرسمية كانت تأخذ شكلا غير رسمي، فكثيرًا ما كان يبدأ زيارته بالسؤال عمن يعرف لعبة الشطرنج التي كانت هواية شهيرة له.

يروي أحمد الطراونة (1920- 1998) الذي بدأ حياته العملية في سلك المحاماة والقضاء في الطفيلة ووادي موسى جنوب الأردن، قصة زيارتين للأمير في مطلع الأربعينات: في الأولى، يطلب الأمير مَنْ يلاعبه الشطرنج، فيتقدم أحمد الطراونة ويلعب دَوْرَيْن يتغلب فيهما الأمير. ولكن الأمير في جلسة مسائية يقابل الطراونة بصفته قاضي

الصلح بغضب، بعد أن استمع إلى شكوى من أحد المواطنين حول حكم أصدره القاضي، فيقول الطراونة للأمير إنه مجرد منفذ للقانون، وإذا كان هناك مِنْ ظُلْم، فإن القانون الذي صدقه المجلس التشريعي وسمو الأمير هو المسؤول. وبعد أن يهدأ غضب الأمير، يستدعي القاضيَ ويجلسه إلى جانبه، ويقول: يا قاضي الصلح، أنت تلومني؛ لأنني صدّقت القانون الذي حكمت أنت بموجبه، نعم صدّقته، ولكن لعنة الله على كوكس والركابي (كوكس المعتمد البريطاني والركابي هو رئيس الوزراء في ذلك الوقت) لقد صدقته دون رغبة مني، ولكن أنا أبو طلال،سأصل ببلادي إلى الوضع الذي يخولني وضع القانون بقناعتي وقناعة شعبي"[1].

وفي الزيارة الثانية، يتكرر المشهد ذاته تقريبًا، فبعد أن يصل الأمير ويطلب من قاضي الصلح اللقاء للعب الشطرنج، يداهم الجلسة رجل يشتكي مظلمة أوقعها عليه قاضي الصلح ذاتُه الجالسُ مقابل الأمير على طاولة الشطرنج، فيكون الأمير هذه المرة أقل غضبًا، ثم ينهي مشكلة المشتكي بطريقته. ولكن الأمير بدأ -كما يبدو- يعجب بقاضي الصلح، لأنه بعد زمن سيدعوه قائلًا: "يجب أن تحضر مجالسي بعد الظهر مع الذين يحضرون"[2]. وبالفعل يبدأ الطراونة مشاركته في تلك المجالس التي كانت أشبه بفصول للتنشئة والتدريب على المشاركة في الحكم وفهمه.

لعل ما سبق يلقي ضوءًا على ملامح هامة من طبيعة الإدارة العامة آنذاك، والتي سيرثها الملك حسين فيما بعد، لجهة حجم ما هو شخصي بين الأمير (أو الملك) والناس أفرادًا وجماعات، ومجتمعات محلية. مع عدم إغفال مسألة مهمة أخرى، وهي أنه كانت قد تشكلت في البلد وحول الأمير مجموعة من رجال الإدارة والسياسة المحترفين في الانتقال بين

1. حكايتي مع الأردن: احمد الطراونة، صفحة 26
2. حكايتي مع الأردن: صفحة 30

المستويين الرسمي والشعبي[1].

صحيح أن أمور إدارة البلد ووضعه السياسي أخذت مع مرور الزمن تتعقد، وخاصة بعد إعلان قيام المملكة وتسارع الأحداث، وخاصة لجهة حرب فلسطين 1948 وتداعياتها، ثم وحدة الضفتين وتوسع حجم المملكة من حيث المساحة والسكان والمسؤوليات، لكن تلك السنوات السابقة التي عاشها الحسين طفلًا وفتى، كانت قد أسست الشروط الأولى لفهم الناس لحكم الأمير عبدالله (الملك فيما بعد)، وفهمه هو نفسه للحكم، وهي "مواصفات" كان على الملك الشاب حسين أن يرثها.

كان الملك عبدالله قد حسم أمر العناية بالحفيد حُسين بعد أن اتضح له عدم أهلية ابنيه، طلال ونايف، للحكم بالطريقة التي يريدها، كما يسجل ذلك لاحقًا الملكُ حُسين بنفسه، وكان الجد يقرّب الحفيد ويعتني بتدريبه وتنشئته سياسيًا. يقول الملك في كتابه "ليس سهلاً ان تكون ملكًا" ما يلي: "كان (جدي) يريد ابنًا بدويًا شجاعًا ومقدامًا لحمل رسالة الثورة العربية، ولم يكن قادرًا على قبول شخص ضعيف.. تلك كانت أسوأ الخيبات في حياته"[2] ثم يضيف: "كان يسمح لي بأن أصحبه في كل مكان، وهو الذي علّمني كيف أفهم طريقة تفكير أبناء شعبي، وتعقيدات العالم العربي الذي نعيش فيه. وعلّمني كيف أتصرف بكياسة في المناسبات الرسمية -وربما لأنه كان يشعر بخيبة أمل كبيرة بسبب خداع البريطانيين والفرنسيين له- كيف أتعامل مع الأمر في السراءوالضراء. وقبل كل شيء علمني أن مهمة القائد الأولى هي أن يخدم"[3].

1. ومن المهم هنا الإشارة إلى دور الجنرال كلوب الذي كان حاضرًا في كثير من تفاصيل الإدارة العامة بما في ذلك الشؤون الداخلية، كما عرف أهمية العامل الشخصي في الإدارة في مجتمع شرق الأردن آنذاك، وقد كتب عن ذلك بوضوح في مذكراته
2. الحسين: ليس سهل أن تكون ملكاً. صفحة 24
3. المرجع السابق صفحة 26

3- الطفولة والفتوة

في ظل الظروف التي عاشتها عمّان وسكانها بمن فيهم العائلة المالكة، لا يمكن تصور مسيرة طفولة غير تلك التي عاشها الحسين بمواصفاتها التي رواها بنفسه ورواها الآخرون من شهودها المباشرين. إن الأب (الأمير طلال) بعد زواجه استأجر بيتًا للسكن في جبل عمان من مواطن من بيت عازر. وكانت تلك المنطقة تُعد عمانَ الحديثة، فقلة من البيوت بدأت تتسلق السفوح القريبة من وسط عمان الذي كانت المدينة تقتصر عليه حتى مطلع أربعينات القرن العشرين. كان أحد تلك البيوت هو البيت الذي سكنه الأمير طلال وأسرته، ويقع قريبًا جدًا من المدرسة الأفضل ربما، في تلك المرحلة في عمان، وهي مدرسة المطران[1].

لم يختلف الأمر في مدرسة "الكلية العلمية الاسلامية" التي درس فيها الطفل الأمير حُسين، سنتين أخريين، عنه في مدرسة المطران، ويشير الروائي عبدالرحمن منيف أن حسين تلميذ المدرسة (الكلية الإسلامية) "كان كبقية الطلبة من حيث البساطة والانضباط، وكان الأساتذة يعاملونه كما يعاملون الطلبة الآخرين"[2].

1. وفق حمدي الطباع، رفيق الطفولة للأمير حسين، فعندما سجلوا التلميذ حسين في المدرسة قيل للطلاب: "هذا التلميذ اسمه حسين وأبوه الأمير طلال"، لكن سوف يتضح أن ذلك لم يعن الكثير لا للطفل حسين ولا لباقي الأطفال، الذين سرعان ما انخرط الطفل حسين معهم في ألعاب الشارع والحارة. كان حمدي الطباع كثيرًا ما يرافق الأمير إلى بيت الأخير، أو يتفقان على موعد اللعب. وكان يرافقه زملاء منهم مروان القاسم وفواز الخريشة وعبدالرحيم ملحس وحمدان القاسم، في مشوار رعاية الحاجة أم العبد وكانت تقطن في بيت (كشك زينكو) أسفل درج خرفان، وعندما أصبح ملكًا أمر بنقلها إلى سكن مناسب وظلت موضع رعايته طيلة حياتها. ووفق فواز الخريشة، فإن جميع التلاميذ بمن فيهم حسين، كانوا يشترون ساندويشات الفلافل من عبده الحجازي وهو صاحب عربة خشبية يقف على باب المدرسة. أثناء الفرصة وفي تمام العاشرة والنصف من كل صباح يشتري ساندويش الفلافل، من عبده الحجازي. كان يلاحظ أنني وزميلي محمد لا نملك ثمن الساندويش، فكان يقسم ساندويشته ويصر علينا أن نأخذها. (ورد في اكرم أبو الراغب، شخصيات مع الحسين)
2. عبدالرحمن منيف: سيرة مدينة، صفحة 193

واذا كان التلميذ حُسين، قد نال الحد الأدنى، ولكن غير الملزم، من التعريف به أمام زملائه كأمير وابن أمير في المدارس الأردنية، فهو في مدرسة "فكتوريا" التي التحق بها في الاسكندرية (مصر)، وجد نفسه في وضع أكثر صعوبة من هذه الناحية، فهي مدرسة ذات تقاليد إنجليزية صارمة، كما توصَف، وقد التحق بها أبناء الذوات والأثرياء داخل مصر ومن الدول العربية القريبة والمحيطة. هنا يُعامل التلاميذ كأفراد، وكان الطالب يعرف بالحرف الأول لاسمه ثم اسم أبيه، وعليه فقد التحق الأمير حسين باسم: "اتش طلال" H. TALAL وهو الاسم المتداول له في المدرسة، ويتذكر عمر النابلسي، وهو زميله في تلك المدرسة لسنتين، أنه بالصدفة وبعد مرور أشهر طويلة من الزمالة المشتركة، عرف مَن يكون التلميذ (اتش طلال)، ويقول: "ما كنت أعرفه أن زميلي اسمه "اتش طلال"، وكنا ننادي بعضنا بالاسم الثاني فأنا "نابلسي" وهو "طلال"، ولم أكن أعرف عنه أمرًا آخر إلا بالصدفة لاحقًا، عندما زاره في المدرسة، أبوه الأمير طلال وبرفقته رئيس الوزراء توفيق أبو الهدى[1]. ولكن تلك العلاقة مع زميله عمر، سيحفظها الملك لاحقًا، وسيعرض على زميله السابق وظيفة في الديوان ثم يسميه وزيرًا في حكومة وصفي التل الأخيرة عام 1970وفي عددٍ من الحكومات التالية.[2] بخلاف باقي

1. يقول عمر النابلسي: ذات يوم وأنا في الصف ومقعدي جانب الشباك، جاء موظف في المدرسة إلى الصف وقال مطلوب اتش طلال؛ لأنه والده يريد أن يراه. قام اتش طلال ورافق الموظف وكنت أنظر من الشباك فرأيت طلال يسلم على ضابط أردني بلباسه العسكري الأردني ومعه عوني عبدالهادي. وكنت أعرف عوني عبدالهادي؛ لأن أخاه متزوج من أختي، ولاحظت أن اتش طلال قبل يد الضابط، ولما انتهى الحصة ركضت إلى زيد بن شاكر وسألته إذا كان والد اتش طلال ضابط في الجيش الأردني؟ فقال لي: هذا أبوه الأمير طلال ولي العهد. وعندما أنهى حسين ذهبت إليه يعني جدك الملك عبدالله، وقد كانت الصحافة النصرية تتناولة بالنقد. يشرح النابلسي أن هذه كانت الطريقة الإنجليزية إذ يعامل الطالب على جهده ويعرف من نتائجه ويميز بناء على ذلك وليس لأنه ابن فلان. (مقابلة خاصة مع عمر النابلسي منشورة في الجزء الثاني من الكتاب).
2. راجع شهادة عمر النابلسي في الجزء الثاني من هذا الكتاب.

التلاميذ، فإن التلميذ حسين كان خاضعًا لتقاليد دراسية إضافية فرضها جدُّه عبد الله، الذي كان يتابع ويفحص قدرات حفيده بنفسه. لقد كان الأمير عبدالله مولعًا بفحص الآخرين، وحفظ كثيرون أمثلة من فحوص على شكل "حزازير" في التاريخ والأدب والمعلومات العامة، وأحيانًا كان يتحدى بها الأمير ضيوفَه[1]، بل وخصومه ومعارضيه أحيانًا أخرى[2]. كما مثّل تلك التقاليد من جهة أخرى، أبوه طلال، وفيما كان الجد (عبدالله) مهتمًا بدروس التربية الإسلامية كان الأب (طلال) يعتني أكثر بدروس اللغة العربية.

لكن التلاميذ ظلوا يتذكرون صفات زميلهم حُسين الخاصة، فهو يشارك زملاءه بطعامه، وهو جريء ويعترف بالأخطاء أو الأخطار، فها هو في الفسحة بين حصتين، يتبارى مع زملائه في "الخَرْبَشة" على اللوح المدرسي، فيدخل المعلم واسمه جريس هلسه، ويرى عبارة على اللوح، فيسأل عن كاتبها، ويسود صمت إلى أن يقف التلميذ حسين ويعترف، غير أن العبارة كانت مثيرة لإعجاب المعلم، لحسن خطها ولمعناها فقد كانت العبارة تقول "يسقط الاستعمار". فقال المعلم: "الخط جميل، ولكن العبارة أجمل".

السيد ممدوح بشارات، الذي يقول إنه لم يكن يهتم بالسياسة مطلقًا، والذي يصغر الملك ببضع سنوات، يتذكر أنه تعرف على الملك طفلًا عن طريق ابن عمه فواز بشارات الذي يقول عنه ممدوح إنه كان أقرب

1. يروي بسام الساكت عن جلسة في مجلس الأمير سأل فيها الحضور: ما هو اسم والدة أبي حنيفة؟ ولم يتوقف عن انتظار الإجابة إلا عندما قال له ذوقان الحسين إنهم حتى لا يعرفون اسم والدة الأمير عبدالله نفسه! بسام الساكت، بيت من البلقاء.
2. يروي نبيه إرشيدات قصة مسيرة قادها فأخذ عليهم أنهم بلا أغطية رؤوس (في إرشيدات/ صفحات ليست شخصية) كما يروي نذير رشيد قصة طريقة الأمير في مواجهة إضراب طلابي طويل عندما استقبل الطلاب وسألهم بعض الأسئلة في الإعراب (في حكايا السرايا وحكايا القرايا/ نذير رشيد مذكرات)

أصدقاء الأمير حسين الطفل والفتى لاحقًا، وكان فواز مُدللًا عند أبيه، وعنده دراجة، وكان الملك يحب ركوبها، وكان فواز يطرق باب بيت الأمير طلال يطلب زميله حسينا لكي يلعبا معًا[1].

في الواقع، وكما تؤكد كل الشهادات عن الحياة اليومية في تلك الفترة، ومن بينها ما كتبه غالب أبو صالحة، ابن عمان في تلك الفترة، ونشره لاحقًا في كتاب يحمل عنوان: "ذكريات عمان أيام زمان"؛ فقد كان "أهل عمان مجتمعًا واحدًا يخلو من الطبقية، لا فرق بين حاكم ومحكوم، الجميع سواء في هموم الحياة وقساوتها، فهذا أمير البلاد رغم ضيق ذات اليد يساعد مَن يقصده، ويحنو على الناس، ونجله الأمير طلال يبيع دراجة ابنه الأمير حسين لجميل مشربش (أبو هاشم) ليشتري بثمنها حاجات بيته، ويسكن في بيت بالأجرة"[2].

كانت "عمان قرية كبيرة تحيط بها جبال خالية من العمران والسكان، إلا من بعض البيوت القليلة المتناثرة على جبال القلعة واللويبدة وجبل عمان الجديد المشرف على رأس العين (وكان يسمى راس الميّه). وبيوت الشعر التي يسكنها المزارعون والبدو، أما جبال الهاشمي والتاج والحسين والأشرفية والجوفة والنظيف، فكانت خالية تمامًا من البيوت والسكان، ولم تكن معظم شوارع عمان معبدة، ولم يكن كهرباء ولاماء يصل البيوت...

ويستقي جميع الناس من سيل عمان، ويعتمدون على مائه في جميع استعمالاتهم المنزلية[3]".

1. مقابلة خاصة بالكتاب مع السيد ممدوح بشارات في منزله.
2. غالب محمد أبو صالحة. ذكريات عمان أيام زمان/ وزارة الثقافة 2010 ويذكر أن قصة بيع دراجة الملك التي وردت في مذكراته ظلت بلا تأكيد وتوثيق حتى كشف تحقيق صحفي عام 1994 عن شخصية المشتري وقد كان حينها لا يزال على قيد الحياة. صفحة 10.
3. أبو صالحة/ ذكريات عمان أيام زمان، صفحة 23.

يقول حمدي الطباع: "كنت الوحيد الذي أرافقه مع الجد والأم في بيتهم المتواضع البسيط الأثاث في جبل عمان، كانت ساندويشة الفلافل هي المفضلة صباحًا، كنا نلعب «جلول» خلال الاستراحات والعطل، وجاء مدير المدرسة بشير الصباغ وشدّنا من أذاننا قائلًا ممنوع اللعب هنا. هل هذا مفهوم؟ سأعاقبكما إذا لعبتما ثانية". ويضيف الطباع: "كان العقاب تأكيدًا على أن الكل سواسية وأن التعليمات تشمل الجميع[1]".

الطباع وهو من أقرب الأطفال إلى الحسين، لأن حمدي بدوره كان ابن الحاج صبري الطباع صديق الملك عبدالله، وترتبط العائلتان بعلاقة صداقة مميزة، ويتذكر حمدي أنه كان أحيانًا يرافق زميله حسين إلى بيت الأخير مباشرة من المدرسة، فهو (أي الطباع) صاحب الكرة برّاني جُوّاني، تحتاج لمنفاخ ومسلة، وهذه كانت ميزة تجعل الزملاء يلتفون حوله ومن بينهم الطفل حسين.[2]

1. حمدي الطباع في "أبو الراغب"/ صفحة 71
2. يوضح الطباع بعض التفاصيل؛ فقد تعرّف على الملك في فترة الطفولة في مدرسة في الحي/ جبل عمان/ شارع خرفان. من الصف الأول وحتى الرابع فيقول: «لم يكن يتمتع بأي امتياز عن أقرانه. كان كل منا يحضر معه شطيرة أو قطعة حلاوة وكنا نأكل معًا في فرصة الساعة العاشرة، وأذكر أن الطريق بين المدرسة وبيت الحسين لم تكن معبدة، ورغم ذلك كان يأتي إلى المدرسة ماشيًا على قدميه مثل بقية التلاميذ. كنا نناديه باسمه "حسين" رغم أنه كان أميرًا، وكان يعامل كأي تلميذ، وحتى في لعبة الطماية كان يطم مثلنا».

«بعد انتهاء اليوم المدرسي، كنا نخرج إلى الحارة، وكانت تحصل أحيانًا بعض المشاجرات (طوش وهوشات) وكان الحسين يشارك فيها بشكل طفولي وطبيعي، ويمكن القول:إن الحسين تمتع بطفولته بشكل طبيعي بعيدًا عن الرسميات أو البروتوكولات، ونظرًا للعلاقة التي كانت تربط والدي رحمه الله بالمغفور له جلالة الملك عبدالله، فقد كان والدي يمرُ يوميًا بديوان الملك، وكان من الطبيعي أن يصطحبني أحيانًا معه، كما أن جلالة الملك عبدالله كان يزورنا في بيتنا أيضًا، ولا أنسى علاقة الأمير طلال بوالدي وإخوتي وأفراد عائلتي.وكل هذه الأمور ساعدت على توطيد عرى صداقة قوية ومتينة بيني وبين الحسين، وأظن أن الأمير طلال سأل الحسين وقتها عمن يكون صديقه، وعرف أنه حمدي الطباع ابن صبري الطباع، فشعر سموه بارتياح، إذ أن الحسين كان يصحطبني معه إلى بيتهم، وأحيانًا أعود معه من المدرسة إلى بيتهم مباشرة، ولا زلت أذكر أن بيت الحسين كان بيتًا متواضعًا أمامه

بل إن أحمد الطراونة المولود عام 1920 يتذكر أنه كان يرى الأولاد يلعبون في الشارع وأن بينهم الأمير حسين، لا فرق بين الأولاد في التصرف والملابس والمعيشة، ولم يعرفه إلا عندما عرّفه عليه الأمير عبدالله بقوله: "هذا حفيدي"[1].

عند بلوغه سن الخامسة عشرة، تنقطع حياة الفتى حُسين بالصورة الموصوفة أعلاه، الاعتيادية والهادئة نسبيًا، وذلك إثر حدث اغتيال جده عبد الله في القدس والذي جرى بحضوره وأمام ناظريه. لقد ظل الملك دومًا يؤكد على أهمية وخصوصية هذا المشهد في حياته، ولعل هذا الحدث يشكل عنصرًا تأسيسيًا هامًا في حياة الحسين وشخصيته كإنسان وكملك وكمسؤول، فهو سوف يبقى بعد ذلك ولحوالي نصف قرن على رأس السلطات في بلده.

وعلى وجه التحديد، ظل الملك حسين يتذكر ذلك الحوار الذي جرى بينه وبين جده صبيحة يوم الاغتيال، فقد وعد جدّه بأن يبقى مخلصًا لسيرته.. ولكن اللحظة الأكثر خصوصية وأهمية في مشهد الاغتيال، والتي شكلت فيما بعد، مكونًا هامًا في شخصية الحسين ومجمل مواقفه، كما يؤكد ذلك بنفسه، كانت تلك التي تلت مباشرة إطلاق النار على الجد الملك

ساحة صغيرة، وأعتقد أن بيوت بعض الأردنيين كانت أفضل من بيت الحسين، فإن الوضع المالي لعائلة الحسين لم يكن جيدًا أبدًا، وكان راتب الأمير طلال من الديوان زهيدًا جدًا ومتواضعًا، ولم يكن يكفي أحيانًا لسد حاجات الحياة، وأذكر أنهم كانوا يغسلون ملابسهم في الطبق، إذ لم يكن لديهم غسالة كهربائية أو شيئً من هذا القبيل، وكانت هناك امرأة تأتي إليهم تغسل لهم ملابسهم في غرفة صغيرة، كما أذكر أن المرحوم محمد أبو سير كان يموّن بيتهم بالخضار واللحوم وما يلزم».

وعندما كنت أذهب إلى بيت الحسين، كنا نلعب بالساحة ونتسلق الأشجار، وكنا نشرك في اللعب معنا الأمير محمد وكان يصغرنا سنًا، وعندما امتلك الحسين فيما بعد دراجة هوائية صرنا نتسابق معًا في ساحة البيت، ومن الألعاب الشعبية التي كنا نلعبها لعبة (أبطال وحرامية) وكان دور الأمير محمد أن يمسكنا ونحن نختفي منه ولا نمكنه من أنفسنا، وعندها كان الأمير محمد يخلعنا بالحجارة».

1. أحمد الطراونة، حكايتي مع الأردن، صفحة 51.

عبدالله، وكيف هرب الرجالُ الذين كانوا يحيطون به. يكتب الحسين: "معظم مَن يدّعون أنفسهم أصدقاء جدي، كانوا يفرّون في كل اتجاه. أكاد أراهم الآن، هؤلاء الرجال الوقورين ذوي المكانة العالية، وقد تكوّروا على أنفسهم في عباءاتهم الفضفاضة وتفرقوا وكأنهم عجائز محنية مرتعبة. تلك الصورة، أكثر من وجه المجرم، بقيت معي منذ ذلك الحين كتذكار على هشاشة الالتزام السياسي"[1].

ثم يكمل وصف المشهد وآثاره بعد أن رأى نفسه وحيدًا: "كان ذلك درسي الأول، الأول من مرات عديدة تلت، وقفتُ فيها منعزلًا وحيدًا وسط رجالي"..."وفي اليوم التالي حملت مسدسًا للمرة الأولى في حياتي"[2].

عاد الفتى حسين من القدس إلى القصر في طائرة صغيرة نقله فيها الطيار البريطاني "الجيش"، الذي سيصبح مدرّب الحسين الخاص على الطيران. كان الحسين محاطًا بالعناية من الجميع، لكن القصر كان قد انخرط في نقاش وخلاف شديدين حول شخصية وريث العرش، وقد حضر النقاشَ جزءًامن فرع العائلة الهاشمية في بغداد، وبالطبع لم يكن الحسين شريكا مباشرًا في النقاش[3].

كان الوالد، الأمير طلال، خارج الأردن، غير أن والدته الملكة زين، كانت حاضرة بقوة، إلى جانب عدد من الرجال الذين رافقوا الملك عبد الله الجد، وقد كتب الحُسين عن انزعاجه من نقاشات السياسيين في تلك الأيام، حيث كانت "التعليقات لا تتوقف والدسائس تُحاك[4]"، وربما يكون قد نُصح بالابتعاد، ولهذا كتب يقول: "شكّلنا أنا وخالي

1. الحسين: ليس سهلًا أن تكون ملكًا، صفحة 18.
2. الحسين: ليس سهلًا، صفحة 19.
3. يسجل أحمد الطراونة تفاصيل تلك الأيام كشاهد عيان في كتابه: "حكايتي مع الأردن"، صفحة 66-57.
4. الحسين/ مهنتي كملك، صفحة 43.

الشريف ناصر الذي عاد من العراق والشريف زيد، ثلاثيًا وركزنا على عقد لقاءات مع أبناء شعبنا. تجولنا في كافة أنحاء البلد، وقضينا ليال عديدة في الصحراء. كانت تجربة ممتعة ومفيدة للغاية"[1].

توقفت دراسة الحسين في كلية فكتوريا في الاسكندرية، رغم أنه، وفق ما كتب، أحبها وكان يريد العودة إليها. لكن العلاقات مع مصر كانت متوترة، وكما يقول الحسين: "أصبح سفري إلى مصر غير ذي موضوع". إن الفتى حُسين هو الآن ولي عهد والده الملك طلال، رغم أنه لم تكن عليه أية مسؤوليات في ذلك الوقت، سوى إكمال دراسته، فسافر إلى لندن، إلى كلية "هارو"، التي رافقه فيها ابن عمه وصديقه المقرب فيصل، وليّ عهد العراق، الذي كان في مثل عمره. وفي كلية "هارو"، يقول الحسين: إنه شعر وكأنه رجل بين فتيان"، لقد كان يرغب بأن يعيش حياة طبيعية، بل إنه شعر أنه لا يريد أن يكون ملكا.

ووفق رواية لصديق طفولة الملك، ممدوح بشارات، فقد واظب الحسين على مراسلة صديقه الأقرب فايز بشارات، وأن رسائل الطالب حسين إلى فايز، كانت عادية مليئة بأخبار اللهو، وأنه تجمعت لدى فايز كَوْمة من الرسائل كان يضعها في كيس، لكن فايز في زمن لاحق، وفي لحظة خاصة، أقدم على حرق تلك الرسائل من دون أن يفصح عن السبب، يقول ممدوح ذلك متأسيًا على "كنز كان سيكشف لنا جانبًا إنسانيًا من شخصية الحسين في فتوته"[2].

1. الحسين/ ليس سهلًا، ص 31.
2. مقابلة خاصة مع السيد ممدوح بشارات في منزله في عمان.

4- الحسين ملكًا

ثم يُعفى الملك طلال من منصبه بعد أقل من عام واحد فقط من وجوده في المنصب، وذلك لأسباب صحية كما أعلن عن ذلك رسميًا، وينادى بالحسين ملكا وهو لم يبلغ السن القانونية بعدُ، فيُعيّن مجلس وصاية على العرش، للقيام بواجبات الملك، الذي بقيت أمامه عدة شهور لكي يبلغ السن التي تسمح له بتولي المنصب. يلتحق الملك غير المتوج خلال تلك الشهور الستة، بكلية ساندهيرست العسكرية الشهيرة في بريطانيا، وهي بحسب ما نقل الحسين نفسه عن خاله الشريف ناصر: "أعظم مكان للرجل لكي يتعلم فيه كيف يصبح ملكا"[1]. هذا ما قاله ناصر للملك حينها.

يُنهي الحسين دراسته في كلية ساندهيرست، ويعود لأداء اليمين ملكًا متوجًا. وكما أشير سابقًا، سوف تتوفر لديه قبل التتويج عدة أسابيع؛ بين السادس من نيسان والثاني من أيار عام 1953م، وستكون لتلك الأيام خصوصية في حياة الملك الشاب الجديد. لقد قام خلالها بجولات ميدانية في ربوع البلد الذي سوف يحكمه، كانت تلك الجولة أكثر تنظيمًا من سابقتها (التي جرت بعد اغتيال جده)، ولكن هذه المرة كانت الزيارات برفقة عدد من الشخصيات الرسمية، من بينهم الجنرال كلوب وخاله الشريف ناصر، وشملت كثيرًا من المواقع الرئيسية المدنية والعسكرية، شمالًا وجنوبًا، وفي مدن الضفة الغربية، وقد وفّر أرشيف الصحافة وصفًا مفصلًا نسبيًا لتلك الجولات، ذلك أن المراسلين الصحفيين من كُتاب الأخبار، كانوا يعتمدون صيغة الوصف الحيّ للمجريات الواقعة أمامهم.

1. الحسين/ ليس سهلًا، ص 44.

من الواضح أنه أُريد لتلك الزيارات أن تشكل فرصةَ تعارف بين الملك الجديد وبين الشعب في مواقعه المختلفة، وذلك قبل أن يتولى فعليًا سلطاته الدستورية، واستهدفت تلك الزيارات التعرّف على الناس وخاصة أصحاب المواقع الرسمية أو الأهلية القيادية، ومشاهدة أكبر عدد من المواقع والمشاريع، وعدد من معسكرات الجيش، وكان يلتقي فيها بالمسؤولين وبالشيوخ وبالوجهاء، ويستمع منهم إلى كلمات وإلى قصائد ترحيبية، يلقيها مُعلّمون مشهورون بالخطابة (كان المعلمون يُعدّون في مواقعهم شخصيات مميزة)، أو شعراء معروفون في مناطقهم. أما في العاصمة فقد زار عددًا من مقرات الوزارات والمؤسسات.

فعلى سبيل المثال، ينقل تقرير صحفي أن الملك تفقد عند زيارته لـ"اللواء الجنوبي"، جزءًا من الطريق الصحراوي (الجديد حينها)، والتقى في الطريق بمجموعة من الحُجّاج الباكستانيين الذين اعترضوا الموكب وطلبوا أن يساعدهم في الحصول على تأشيرات لتأدية الحج. إن مشهد اعتراض الموكب سيتكرر كثيرًا في مواقع ومناسبات أخرى كثيرة. وفي مدينة معان خاطب المستقبلين من شيوخ المنطقة بقوله: "بيتي في بسمان بيتُكم، فأهلًا بكم في كل وقت وسهلا. فالدار داركم والأهل أهلُكم". ويشير الخبر المنشور في الصحيفة إلى أن الملك استدعى المسؤول عن حملة مكافحة الجراد، التي كانت في ذلك الوقت، تعمل في تلك المنطقة، واستمع منه إلى مجريات العمل[1].

1. يومية "الدفاع" 15 نيسان 1953 وقد نشرت الصحيفة الخبر بعنوان رئيسي يقول: «استقبال منقطع النظير لجلالة الملك المعظم في اللواء الجنوبي» ونشر الخبر مفصلًا، ونورده هنا كمثال على طريقة تغطية أخبار الملك حينذاك: «ففي الساعة الثامنة والثلث من صباح أمس وصل إلى مطار عمان العسكري موكب حضرة صاحب الجلالة ليستقل الطائرة الملكية الخاصة في زيارة كريمة إلى اللواء الجنوبي، وكان في شرف وداع جلالته في المطار السادة رياض المفلح وكيل وزارة الداخلية، وصدقي القاسم محافظ العاصمة، والدكتور شوكت الساطي طبيب جلالته الخاص والقائم مقام نديم السمان قائد الشرطة، وكمال الحمود رئيس التشريفات الملكية وكبار رجال القصر الملكي وعدد كبير من كبار

أما زيارته إلى اللواء الشمالي، فقد بدأت من المفرق، حيث المطار، ثم مر موكبه بمناطق عشائر بني خالد، الذين اصطف فرسانُهم في الاستقبال، ثم بلدة الرمثا حيث مر بتجمع للأهالي، ثم مدينة إربد مرورًا بقرية حوارة، ثم إلى مخيم اللاجئين في إربد، ثم إلى "سَدّ المقارِن"، واستمع هناك لشرح عن مشروع سد اليرموك، وسار على رجليه مَسافة كيلومترين يسأل ويتفقد، ثم عاد إلى إربد في الساعة الواحدة والربع!

ضباط الجيش، وفي تمام الساعة الثامنة والدقيقة الخامسة والثلاثين استقل جلالته الطائرة الملكية وفي معيته السيد أنور نسيبة وزير الدفاع، والسيد فوزي الملقي سفير الأردن في لندن، والسيد عبدالرحمن خليفة رئيس الديوان الملكي العامر،والفريق كلوب رئيس أركان حرب الجيش العربي الأردني وسيادة الشريف ناصر بن جميل.

إلى العقبة، معسكر الجيش، ألقى السيد جمال العنبتاوي مدرس في البلدة قصيدة عامرة قوبلت بالتصفيق، زار ثكنات الجيش وغرف نوم الجنود ومستشفى المعسكر حيث تحدث إلى المرضى من جنود الجيش ملاطفًا ومشجعًا، كما زار قاعة التدريب النظري لرجال الجيش، واستمع إلى أحد العرفاء يلقي درسًا عسكريًا على الجنود، ثم زار أحد المشاغل ومركز الحامية البريطانية حيث تناول القهوة وبعض المرطبات، ثم إلى منطقة الميناء وزار المخازن والمستودعات وزار الباخرة البريطانية الراسية، واستقل زورقًا بخاريًا نحو البحر، إلى منطقة الميناء التجاري الجديد، حيث تقوم شركة الهندسة ببناء المستودعات الجديدة لحساب سلطة ميناء العقبة، ثم بالسيارة إلى وادي اليتم، حيث تقام الطريق إلى معان وتفقد 15 كلم منها، عاد إلى العقبة، وحضر مأدبة غداء أقامتها حامية الجيش الأردني، وألقى الرئيس عثمان بدران كلمة، ثم بالطائرة إلى مطار معان، حيث احتشد وجهاء وشيوخ عشائر وكبار الموظفين ووجوه الشوبك ووادي موسى، وفي مقدمتهم القائم مقام محمد هاشم قائد البادية ووكيل القائد عبدالحليم الساكت وقائد المنطقة. صافح المستقبلين. ألقى فضيلة الشيخ فهمي العلمي إمام الجيش كلمة ترحيبية، وألقى السيد عبد اللطيف اللبدي الأستاذ في مدرسة معان الثانوية قصيدة عامرة، وتحدث جلالته إلى شيوخ القبائل سائلًا إياهم عن الموسم الزراعي وجودته، وعلت الابتسامة وجهه الكريم عندما أعربوا له عن سعادتهم بالموسم ذي الخير العميم، وعن سعادتهم باجتلاء طلعته والولاء لعرشة، فقال: إن بيتي في عمان هو بيتكم فأهلًا بكم في كل وقت وسهلًا فالدار داركم والأهل أهلكم وإني والله لسعيد بزيارتكم وآمل أن أكرر الزيارة في كل مناسبة قريبة.

ثم تفضل جلالته واستدعى السيد عباس أبو ريشة وكيل وزارة الزراعة الذي يشرف على حملة مكافحة الجراد في الجنوب سائلًا إياه عن سير حملة المكافحة ونتائجها موجهًا بنصحه وإرشاده الكريم. وفي الساعة الثالثة والدقيقة الأربعين عاد إلى عمان.

(كما ذكرت الصحيفة في سياق حرصها على ذكر التفاصيل)، ثم ذهب إلى متصرفية إربد، حيث ألقى أحد المعلمين كلمة، وألقى الملك كلمة قصيرة وعَدَ فيها بالعمل والإخلاص، ثم توجه إلى دار البلدية، وألقى كلمة قصيرة أخرى، وسأل عن المدينة وميزانيتها ومشاريعها والحالة الزراعية فيها[1].

أما الزيارة ذات الخصوصية والفرادة، فكانت إلى مجلس النواب الذي كان منعقدًا في جلسة طويلة لمناقشة الموازنة العامة، حيث حضر الملك فجأة، وجلس في قاعة كبار الضيوف، فهو لم يكن قد أصبح ملكا متوجًا بعد، وتقول يومية "الدفاع" في مانشيت رئيسي: "الملك حضر ساعتين إلا ربعا من الجلسة" التي استمرت وفق جدولها، ثم رُفعت الجلسة مؤقتًا لإتاحة الفرصة للقاء ومصافحة النواب للملك، الذي غادر بعدها واستؤنفت الجلسة وفق برنامجها[2].

وفي اليوم التالي نقلت الصحيفة ذاتها، تفاصيل زيارته إلى الكرك التي لم تشملها زيارته إلى اللواء الجنوبي، بسبب اختلاف الطريق الموصل إلى العاصمة في ذلك الوقت، ووصفت الصحيفة صورة الاستقبال في الكرك، حيث عُلقت البُسُط والسّجاد[3] في الشوارع، إلى جانب لافتات الترحيب. واستفسر الملك عن حال الزراعة وحال الطريق إلى عمان عن طريق الموجب، وألقى معلمون وأعضاء في المجلس البلدي كلمات ترحيبية، ثم زار مدرسة جماعة الإخوان المسلمين وتبرع لها من "الخاصة الملكية" بمبلغ خمسين دينارًا[4].

1. يومية «الدفاع» 21 نيسان 1953
2. يومية «الدفاع» 22 نيسان 1953
3. كان تعليق البُسط والسجاد الجميل المزخرف من مظاهر الترحيب والاحتفال في المناسبات المختلفة.
4. يومية الدفاع 23 نيسان 1953

وفي تلك الأيام، حصل عدوان عسكري إسرائيلي على القدس، فزار الملك مباشرة المدينة وعاد الجرحى في المستشفى، وعاين موقع العدوان، وقابل مسؤولين عسكريين. وفي اليوم التالي قام بزيارة خاصة في عمق الصحراء للعاملين في مكافحة الجراد، وقد كانت قضية الجراد تؤرق المجتمع كله بسبب اعتماد أغلب السكان على الزراعة في ذلك الوقت.

من الطبيعي أن تشكل تلك الأيام والأسابيع زمنًا انتقاليًا مهمًا في حياة الملك ومسيرته السياسية، ولكن قبل المضي في تتبع الزمن اللاحق لها، قد يكون من المفيد الإشارة إلى حكاية ذات طابع خاص ومهم سبقت ذلك بقليل، وقد تكون الوحيدة من نوعها حتى ذلك الحين؛ ففي لندن، وفي الوقت الذي كان الملك لا يزال فيه تلميذًا في كلية ساندهيرست العسكرية، ووفق ما جاء في مذكرات الضابط العسكري شاهر أبو شحوت، وهو الاسم الأبرز في جماعة "الضباط الأحرار الأردنيين": ففي شباط من عام 1953 أي قبل عودة الملك إلى الأردن بشهرين، كان أبو شحوت في دورة عسكرية في لندن، وكان نشاط الضباط الأحرار قد بدأ منذ حوالي ثلاث سنوات، فالتقى أبو شحوت بزميله الأعلى من رتبة عسكرية، الضابط الشهير فيما بعد، علي أبو نوار، الذي كان قد قَدِم من باريس لمقابلة الملك في لندن. لقد أخبر أبو شحوت أبا نوار عن نشاطهم السياسي كضباط في الجيش، فيقوم أبو نوار، وبمبادرة منه، بإبلاغ الملك، الذي يستقبل الفكرة بترحاب، ثم يرتّب أبو نوار لشاهر أبو شحوت موعدًا ليتعرف الأخير فيه على الملك، ويتفق الثلاثة بعد اللقاء، على استمرار التواصل بعد العودة إلى الأردن. (القصة بكاملها سوف يُفرد لها حيز مستقل في قسم الشهادات، بسبب أهميتها وامتداد أثرها على سنوات طويلة لاحقة، ولأنها تشكل نموذجًا كثيفًا بالدلالات، على علاقة الملك مع أصدقائه ومع خصومه).

بدأ الملك عهدَه في الحكم في ظروف خاصة، فإذا وسّعنا دائرة النظر قليلًا، وبشكل مؤقت وسريع، على هامش إطار مهمة هذا الكتاب، نحو الأوضاع السياسية المحيطة والضاغطة في ذلك الوقت، سوف يلفت الانتباه أولًا، الحضورُ الطاغي للإنجليز في الأمور السياسية الكبرى الداخلية وأمور السياسة الخارجية إلى جانب الأمور العسكرية، وخاصة فيما يتصل بالوضع على الحدود الغربية مع فلسطين المحتلة، أي ما كان يعرف بالخطوط الأمامية (حدود الضفة الغربية مع الاحتلال) التي كانت تشهد شتى أنواع الاضطرابات العسكرية بسبب العدوان المتكرر، إضافة إلى الوضع الاقتصادي المنفلت على تلك الحدود، بسبب نمو ظاهرة التهريب عبر الحدود نحو فلسطين ومصر أيضًا.

داخليًا، كانت المعونة البريطانية المقرة وفق نصوص المعاهدة الأردنية-البريطانية التي جرى تحديثها عام 1948م، والبالغة عشرة ملايين جنيه استرليني، تُنفق مباشرة تحت إشراف بريطاني، لأنها مخصصة للأمور العسكرية وخاصة الإنفاق على القوات البريطانية ذاتها التي كانت موجودة في الأردن، وكانت الحكومات قد بدأت منذ زمن بمفاوضات حول تلك المعونة بهدف تغيير صفتها، أو نقل المسؤولية عنها إلى الإدارة الأردنية، ولكن دون طائل، حتى ذلك الوقت. لقد كانت تلك المعونة المورِدَ الماليّ الأكبر والرئيسي للدولة. وبالتوازي كانت الحكومة قد بدأت بالتعامل مع أول أشكال العلاقة مع الولايات المتحدة الأمريكية من خلال مشاريع ما عُرف بـ"النقطة الرابعة"، التي كان تتعلق بقطاعات اقتصادية، وخاصة تلك التي تتصل بشؤون وحياة اللاجئين الفلسطينيين.

على صعيد الفريق السياسي المتنفذ حينذاك؛ فمع أن الملك الحُسين عاد وبرفقته رئيس وزرائه الخاص، فوزي الملقي، إلا أن دائرة الحكم العليا،

كانت تضم فريقًا واسعًا من رجال الملك الجَدّ، عبدالله، ضَم مجموعة من المتمرسين والمتنفذين الأقوياء. وربما يكون من المفيد هنا أن نلقي نظرة أعمق قليلًا:

فعندما اغتيل الملك عبدالله كان في التاسعة والستين من عمره، وكان قد أمضى حوالي ثلاثين عامًا منها في الحكم أميرًا وملكًا، وقد تمكن خلالها من استيعاب أو إبعاد من يريد استيعابه أو إبعاده، مِنْ سياسيي وزعماء سنوات التأسيس، سواء ممن أتوا معه من الحجاز أو مَمن التحقوا به من الشام وفلسطين، أو من الزعماء المحليين، وفي مطلع عقد الخمسينات كانت قد اكتملت ظاهرة المجموعات السياسية التي قد تتنافس فيما بينها، ولكنها دومًا موالية للملك، وقد تتناوب على المواقع بقرار ملكي متفرد عادة، وهو ما أصبح تقليدًا سياسيًا أردنيًا فيما بعد.

أما توحيد الضفتين، ووفق تعبير روبرت ساتلوف في كتابه: "من عبدالله إلى حسين"، فقد شكل امتدادًا للحكم الهاشمي غربًا، واندفاعًا للمجتمع الفلسطيني شرقًا[1]". وهو ما كان حينها يعني حصول تنوع شديد في الحياة السياسية، ورفدٍ للخبرات والتجارب، في أوساط الموالاة والمعارضة في الآن ذاته.

في ذلك الوقت، غلب على النشاط السياسي طابع الصداقات والعلاقات الشخصية، وكان الملك عبدالله يُغضِب ويُرضي ويَسترضي مَن يريد، في أوساط السياسيين، وكانت الشخصيات تنتقل بين المعارضة والموالاة، وأحيانًا بشكل مباشر وسريع، من وضعية الاعتقال أو النفي، إلى المنصب الوزاري أو العكس! خلال أزمان قصيرة تقاس بالأشهر وبالأسابيع وبالأيام أحيانًا[2].

1. روبرت ساتلوف/ من عبدالله إلى حسين صفحة 8
2. انظر الصفحات 55-85 من كتاب "سليمان النابلسي ودوره في الحياة السياسية الأردنية" د. فيصل الغويين.

في الواقع كانت هناك مجموعة من رجال الحكم ينتظمون في مجموعات، تتناصر أو تتنافس أو تتناكف، وكان لوحدة الضفتين دور كبير في تغيير الطابع العام للحياة السياسية الوطنية، فقد اكتملت ظاهرة التنظيمات القائمة على الأفكار العقائدية: القوميون والبعثيون والشيوعيون والإخوان المسلمون وحزب التحرير، وقبل ذلك كانت تلك التيارات مجرد أنوية قليلة العدد، في حين كان النشاط السياسي المعارض في شرق الأردن قائمًا على أسس وطنية داخلية.

كلّف الملك حسين فوزي الملقي تشكيل الحكومة الأولى في العهد الجديد، وبدأ الملقي مشارواته مع معارضي سلفه الرجل القوي توفيق أبو الهدى، لكنه كان يرغب بتشكيل ائتلاف أوسع، غير أن الأرشيف يسجل عناوين صحفية لافتة حول مشاورات التشكيل، فنقرأ في أحدها مثلًا: "هل يشكل الملقي حكومته من المعارضة؟[1]". ويفيد الأرشيف أن الأجواء العامة لحكومة الملقي سيطر عليها اللون المعارض لجماعة توفيق أبو الهدى، فيما كان الرجل القوي الثاني؛ سمير الرفاعي ومجموعته، قد ابتعدوا قليلًا عن واجهة المشهد السياسي، بعد اغتيال الملك عبدالله؛ بسبب موقفهم من قضية وراثة العرش[2].

في الواقع حاولت كل المجموعات السياسية، الضغطَ باتجاه التأثير على العهد الجديد، وكانت سنة حكومة فوزي الملقي زمنًا طُرحت فيه شتى الأفكار والمقترحات السياسية؛ فقُدمت مشاريعُ تشكيلِ الأحزاب (من مختلف الاتجاهات والتيارات السياسية) والنقابات، وعُقدت المؤتمرات غير الرسمية لقطاعات مهنية مثل المعلمين والطلاب والصحفيين، الذين أعلنوا عن تشكيلات نقابية مهنية حاولت فرض نفسها كأمر واقع، أي قبل أن تشرّع قانونيًا.

1. أسبوعية «لحوادث» في تاريخ 1953/5/2
2. ساتلوف/ من عبدالله إلى حسين

اصطدمت حكومة الملك حُسين الأولى تلك بقيادة الملقي، بالوقائع السياسية القائمة، إذ سرعان ما تحول فريق السياسيين المحافظين (كانوا هم أيضًا يسمون أنفسهم كذلك) إلى معارضين أشداء لحكومة الملقي، ويروي أحمد الطراونة وهو من أبرز المحافظين من معارضي الملقي، كيف انتظروا اللحظة المناسبة لكي يعلنوا موقفهم ويشنوا حملتهم ضد الحكومة، فيقول[1]: "كان رئيس الوزراء (الملقي) يخطب أمام مجلس النواب مرتجلًا كلمة يشيد فيها بمنجزات الحكومة، وقال فيما قاله: كان الأردن شوكة في جسم الأمة العربية، إلى أن جاءت هذه الحكومة، حكومة الشباب، حكومة العهد الجديد، فحسّنت موقفَ الأردن وهيبته"[2].

مباشرة وفورًا، استثمرت معارضة الملقي هذه الجُمل اللافتة التي وردت في كلمته أمام النواب، وشنت حملة سريعة تحت عنوان: الدّفاع عن المملكة والملوك الثلاثة؛ عبد الله وطلال وحسين. وقد شكّل ذلك تحريضًا فوريًا وسريعًا ضد فوزي الملقي ونهجه، من قِبَل خصومه الذين نشروا هجومهم عل شكل مانشيت رئيسي في صدر صحيفتهم، التي كانت تحمل اسم "النضال"، وعبثًا حاولت حكومة الملقي استصدار قرار بوقف صدور الصحيفة صباح ذلك اليوم.

لقد اعتمد خصوم الملقي، كمصدر للمعلومات من داخل القصر، على صديقهم عبد الرحمن خليفة، رئيس الديوان الملكي الذي أبلغهم فورًا بقدوم الملك مبكرًا في ذلك الصباح على غير عادته، وبيده جريدة "النضال"، واستدعائه لرئيس الوزراء وطلبه منه تقديم استقالة الحكومة[3]. وفي اليوم ذاته، يعاد تكليف صديقهم توفيق أبو الهدى،

1. حكايتي مع الأردن صفحة 85/ 86
2. حكايتي مع الأردن صفحة 85
3. يروي أحمد الطراونة تفاصيل طريفة عن الحادثة: رن جرس التلفون، وعلى الطرف الآخر عبدالرحمن خليفة رئيس الديوان الملكي، يقول لي: لقد جاء جلالة الملك مبكرًا وبيده جريدة «النضال» وطلب

خصم الملقي، الذي شكل حكومته الجديدة خلال ساعات، وضمت فريقه السياسي، ومن بينهم الطراونة، قائد الحملة ضد الملقي.

نُذكّر هنا أننا ما زلنا بصدد عرض مختصر للظروف التي أسهمت بتشكيل تجربة الحسين الأولى في الحكم، لنتعرف كيف سيتصرف الملك ويأخذ مساره الخاص.. ولكن قد يكون مهمًا لفت انتباه القارئ إلى ما يشير إليه هذا المشهد العام السائد حينها، من حيث تداخل العلاقات في العمل السياسي، وحضور العناصر الشخصية في صياغة خطط التصدي للخصوم والإطاحة بهم، والتأثير على الملك وقراره، وهو ما يتصل مباشرة بمهمة هذا الكتاب في رصد تطورات ما هو "غير رسمي" في الإدارة السياسية.

لم يكن توفيق أبو الهدى ومجموعته، بعيدًا عن السلطة أثناء وزارة الملقي، فقد كان أبو الهدى يشغل منصب رئيس مجلس الأعيان، ولكن الخصومة كانت واضحة. ووفق ملاحظات سجلها السفير البريطاني، فقد "حاول الملك حل الخلاف بين أبو الهدى والملقي، على الطريقة العربية "مُصالحة"، ولم ينجح، وبلغ الخلاف حد نقاش حل مجلس الأمة أو حل الأعيان وحده". ويكمل السفير البريطاني ملاحظاته على المتغيرات التي تسارعت حينذاك، فيقول إن "أبرز سمة لهذا كله هي بروز الملك حسين كعامل في هذا الموقف"، ثم يضيف، وبخصوص الملك أيضًا: «إنه يعطيني الانطباع حتى الآن بأنه تصرف بحسن تقدير... ومن الواضح أنه قاوم محاولات متكررة من فوزي الملقي للانحياز علنًا إلى جانبه ضد

مني أن أستدعي رئيس الوزراء فورًا، وهو في حالة غضب، (سأعاود الاتصال) فإن قلت لك إنني سأتغدى معكم في المكتب فمعنى ذلك أن الحكومة استقالت».. وبعد ساعة من الزمن تكلم عبد الرحمن، وقال: سأتغدى معكم في المكتب. وعرفنا عندما جاء للغداء أن الملك سأل الرئيس: هل قلت هذا يا فوزي باشا في مجلس النواب؟ فما استطاع أن يقول نعم أو لا، ولكنه قدم استقالة الحكومة، وعلمت أن توفيق أبو الهدى طلب إلى القصر، وبعد الظهر طلبني توفيق باشا.. وبعد ساعتين أقسمت الحكومة اليمين الدستورية وكنت أحد الوزراء.

توفيق أبو الهدى"، بل إن السفير ينقل أن الملك أبلغه بأنه مقتنع بأنه "يجب أن يُبقي نفسه فوق المنافسات السياسية. وبدا في الواقع نافذ الصبر تجاه كل مَن هم عنده، مِنْ سياسيين، لسبب مبرر تمامًا، وهو أنهم يضيعون وقتهم في المناكفات الشخصية بدلًا من الاضطلاع بمهمة حكم البلاد"[1].

غير أن الملاحظ أن سنة الملك الأولى في الحكم، وهي ذاتها سنة حكومة فوزي الملقي الوحيدة، أحدثت تغيرًا كبيرًا وجذريًا في الحياة السياسية في البلد، فقد أعطيت بعض الأحزاب ترخيصًا بالعمل العلني، وصدرت الصحف الحزبية وغير الحزبية، كما صدرت قرارات بالإفراج عن كل المعتقلين السياسيين باستثناءات محدودة. وبالطبع، بينما كانت هذه الأجواء الجديدة محل ترحيب للأطراف المستفيدة منها، فإن الجناح المحافظ كان يرى الأمور من زاوية أخرى، إذ عزا أعضاؤه ذلك إلى ضعف الحكومة الذي أتاح، وفق تعبير أحمد الطراونة: "للمجموعات المعارضة، ومنها شيوعيين وبعثيين، (أن ترى) في حكومة الملقي، مناخًا مناسبًا لكي تتحرك"[2].

بالنسبة للملك، فقد كانت تلك السنة وقتًا مناسبًا تعرّف فيه على السياسيين الذين يعمل معهم، رغم ما رافق تلك الأوقات من صعوبات، فها هو يقول للقائم بالأعمال البريطاني في أيار 1954 بعد استقالة الملقي، ملخصًا سنته الأولى: إن "تجربته في الحكم الليبرالي لم تثبت نجاحًا كبيرًا. غير أنه لا يساوره إحساس تام بعدم الرضى، وذلك لأن التجربة أعطت بعض الأشخاص الجدد خبرة في الحكم، ومن شأنها أن توسع مجال اختياره للمستشارين في المستقبل"[3].

1. ماهر عثمان/ الأردن في الوثائق السرية البريطانية/ صفحة 59
2. حكايتي مع الاردن، صفحة 77
3. الأردن في الوثائق السرية البريطانية صفحة 91

كان الملك يشكل خبرته الخاصة بتسارع شديد، بموازاة تسارع الأحداث الداخلية والخارجية. يقول كاتب سيرة الملك جيمس لينت عن تلك الفترة ما يلي: "كان الحسين يقضي الكثير من وقته مع رجال أكبر منه سنًا بكثير، كرئيس وزرائه ووزرائه ورئيس هيئة الأركان جلوب باشا. لكنه على أي حال، جمع حوله دائرة من الأصدقاء والمستشارين الذين يقاربونه في العمر، وأحيانًا في الاهتمامات، ولعل أكثرهم قربًا منه، خاله الشريف ناصر بن جميل... والشريف زيد بن شاكر... وكان الشخص الثالث ضمن المقربين لجلالته الرائد علي أبو نوار الذي تعرّف عليه الحسين عندما كان ملحقًا عسكريًا في باريس، وظهر أن نجمه يعلو بين المحيطين بالملك، وكان الحسين قد طلب استدعاءه من باريس ليصبح مرافقه الخاص... (رغم عدم موافقة كلوب على ذلك).. عاد علي أبو نوار من باريس وتمت ترقيته إلى رتبة مقدم، وعُين رئيسًا لمرافقي جلالته[1]". وسوف تلعب هذه العلاقة الأخيرة مع أبو نوار دورًا هامًا في الخطوات اللاحقة للملك، كما سنرى.

سعى أبو الهدى، الرئيس العائد بقوة إلى منصبه، إلى التخلص من تركيبة مجلس النواب التي ورثها عن سلفه فوزي الملقي، ودعا إلى انتخابات جديدة. وتجمع كل التقييمات على حجم التزوير الكبير الذي مورس في تلك الانتخابات، فقد كان هدف الوصول إلى مجلس نواب مطواع، هدفًا معلنًا ومعروفًا مسبقًا، وأعدت الترتيبات لذلك، كما يعترف بذلك الجنرال كلوب نفسه في كتابه:»جندي بين العرب»، فقد كان على كلوب إجراء الترتيبات اللازمة بخصوص اقتراع العسكريين بما يلبي أهداف صديقه القديم أبو الهدى. وعقدت الانتخابات في 16 تشرين أول 1954، وأدى التدخل الفاضح إلى اندلاع احتجاجات قوية في

1. جيمس لينت/ الحسين سيرة حياة/ صفحة 61/ 62

شوارع المدن الكبيرة في الضفتين، وتدخل الجيش في قمع المتظاهرين، وسقطت ضحايا في الشوارع، ودخل البلد في أزمة كبرى، وكانت تلك أولى الأزمات الحادة في عهد الملك حسين، وقد أصبح ذلك "درسًا في اكتشاف الضرر الذي تلحقه سياسة لا تحظى بالقبول الشعبي"، وفق روبرت ساتلوف، الذي لاحظ أن "طريقة أبو الهدى غيرت في فكر الملك، وأخذ يتدخل في السياسة الداخلية، وغضب من كلوب وأخذ يعمل على نقل السلطة من الحكومة إلى القصر"[1]. بالمحصلة أقال الملك الرئيس أبو الهدى، لتصبح تلك آخر حكوماته الثمانية.

لم ينتبه أبو الهدى إلى التغيرات المستجدة التي حصلت في الواقع السياسي الداخلي، لقد حاول ببساطة استئناف النهج السابق الذي عادة ما كان مجديًا، فقد عُرف أبو الهدى كرجل سلطة، واشتهرت حكوماته بوضع حد لمعارضيه. لكن الأمور الآن (مع الملك الجديد، وبعد سنة من التجربة الليبرالية) قد تغيرت. كان السفير البريطاني أكثر انتباها من أبو الهدى إلى تلك التغيرات، فكتب في النصف الثاني من عام 1954 ما يلي: "لكي يبقى نفوذنا فعالًا، يجب ممارسته بكياسة وطريقة مستورة، أكثر مما يحتمل أنه كان ضروريًا قبل سنوات، في ظل نظام مجتمعي أبوي وأكثر بساطة. إنها الآن مسألة اقتراح ومشورة أكثر منها مسألة أمر وإصرار على الطاعة"[2]

بعيدًا عن الشأن الداخلي، كانت الأجواء المحيطة تتميز بكثافة الضغوطات الدولية على الأردن، ومن بينها مطالبات من مجلس الأمن، بل ومن الأمين العام للأمم المتحدة الشهير داغ همرشولد، للدخول في مفاوضات مباشرة مع إسرائيل، وقد وصل الأمر في إحدى المرات، إلى انسحاب

1. من عبدالله إلى حسين صفحة 197.
2. ماهر عثمان صفحة 101.

الأردن من جلسة لمجلس الأمن كانت تنظر في اعتداءات إسرائيلية على القرى الحدودية، بسبب ضغوطات لأجل التفاوض المباشر مع المعتدي.

يشير كتاب "الأردن في الوثائق السرية البريطانية (1953- 1957) السنوات الخمس الأولى من عهد الملك حسين" لماهر عثمان، إلى كثافة التحولات والضغوط السياسية التي شهدها الأردن في تلك السنوات، كما يلفت إلى أن دور الملك الشاب حسين، كان يتصاعد، وأخذت مداخلاته تنضج بالتدريج، فقد كان رؤساء الحكومات من أمثال توفيق أبو الهدى وسمير الرفاعي وفوزي الملقي في صدارة المشهد، وكان على الملك أن ينتزع منهم حضوره عبر مفاوضتهم أو الاصطدام بهم أحيانًا، حيث كان بمقدورهم مثلًا، أن يهددوا بالاستقالة، فيستجيب الملك ويفاوضهم على بعض السياسات، واستمر ذلك الوضع حتى الوصول إلى خطوة طرد كلوب التي ستحسم نهائيًا حضور الملك وسلطته.

لم تتوقف حالة التوتر منذ أزمة تزوير الانتخابات وحملات الاعتقال التي تلتها، فيحسم الملك أمر إقالة أبو الهدى، ويكلف سعيد المفتي، ووفق روبرت ساتلوف: "كانت إزاحة الملقي إشارة إلى نضوج الملك السياسي، وإزاحة أبو الهدى إشارة إلى تحرره السياسي، وبطريقته في تعيين المفتي أراد الحسين أن يؤكد أنه صاحب الكلمة الأولى"[1] في تلك الأثناء، لم يكن المجتمع الأردني مجرد مراقب ساكن لذلك الحراك الجاري على مستوى دوائر الحكم العاليا، فخلال الفترة منذ اغتيال الملك عبدالله والسنة الحرجة التي تلت ذلك أي سنة تولي الملك طلال الحكم، ثم فترة هيئة الوصاية على العرش، وصولًا إلى السنة الأولى لحكم الملك حسين القادم من لندن، كانت الحياة السياسية في الأردن تشهد تبدلات من نوع جديد.

1. من عبدالله إلى حسين، صفحة 108.

في الواقع كانت مفردات الحياة السياسية قد تغيرت جذريًا، ومع منتصف عقد الخمسينات، كانت الأحزاب والتيارات العقائدية قد اكتمل حضورها، فنشأت الأحزاب القومية والإسلامية والاشتراكية/ الشيوعية. وكانت الفكرة الناصرية قد بدأت تكتمل وتقدم نفسها كبديل على المستوى القومي العربي، على الأقل في المشرق، ووفق ما يسجله الملك بنفسه فإنه لم يكن بعيدًا عن هذه التيارات، بل إنه لم يُخف إعجابه برمزها الأبرز عبدالناصر، ووفق جيمس لينت، فقد كان الملك "متأثرًا بالروح القومية السائدة في بلاده، وكان يعرف تراث أسرته الهاشمية، والدور الذي اضطلعت به في التخلص من نير الحكم العثماني"[1].

كان الملك قد اختط في إدارته السياسية الداخلية، مسارًا آخر خاصًا بعيدًا عن رجاله المقربين في الحكم، وذلك عبر تجديد علاقته مع مجموعة "الضباط الأحرار" الشباب ، الذين -كما أشير سابقًا- كان قد تعرّف مُبكرًا على فكرتهم عن طريق علي أبو نوار في لندن، ويؤكد شاهر أبو شحوت ذلك في مذكراته المخطوطة غير المنشورة، كان الملك قد وعد أبو نوار وأبو شحوت، على مواصلة اللقاء في عمان، لبحث فكرة تعريب الجيش، غير أن ذلك تأخر سنوات، حتى اللحظة التي بدأ الحسين فيها فعلًا يفكر بتعريب الجيش والتخلص من قيادته البريطانية[2].

كان كلوب نفسه قد لاحظ جانبًا من التغير الحاصل في علاقته مع الملك الشاب، فكتب للحكومة البريطانية في رسالة مطولة أن الملك في سنته الأولى كان يبدو وديًا معه، ثم أخذ حماسُه يفتر، ومنذ نيسان 1955 بدأ يلاحظ أن الملك صار يعلن أفكاره ضد البريطانيين.[3]

1. جيمس لينت/ الحسين سيرة حياة/ صفحة 54
2. مذكرات شاهر أبو شحوت/ مخطوط
3. ماهر عثمان، صفحة 165- 170.

كان نشاط مجموعة الضباط الأحرار متواصلًا منذ عام 1950، وكان كلوب نفسه مطلعًا على ذلك، غير أنه كان قد أخذ قرارًا بعدم ترفيع أي منهم إلى رتبة عسكرية قد تسمح بتشكيل خطر ما. لم يكن كلوب يريد للجيش أن يدخل في السياسة، وقد صارح أبو شحوت بذلك عندما قرر إيقاف ترفيعه، واكتفى بجعله مرافقًا له يعمل تحت رقابته. كان كلوب في الواقع، لا يتصدى للعمل السياسي في الجيش إذا بقي في المراتب العسكرية الدنيا، لكنه كان يرفض ذلك إذا تعلق الأمر برتب عالية للضباط، وقد قال ذلك لأبي شحوت نفسه، وفق رواية الأخير في مخطوط مذكراته.

كانت الاعتداءات الاسرائيلية متواصلة على القرى الحدودية مع فلسطين، مقابل رد فعل ضعيف، كان عدد قوات الجيش الأردني المنتظمة بحدود 4500 جندي وضابط، وشُكّل الحرس الوطني كقوة رديفة تكونت من ضعف هذا العدد. يقول الملك: "إن الجنود أصبحوا مثار سخرية الشعب، وكانت خطة كلوب في حالة الهجوم الإسرائيلي هي الانسحاب إلى الضفة الشرقية بانتظار تعزيزات تُمكّن من الهجوم المضاد، ولكن الملك كان يدرك أن دخول الاسرائيليين إلى الأرض سيكون نهائيًا، وكان هناك نقص في الذخيرة، ويضيف الملك: كانت لديه (كلوب) بعض المبررات لنظريته هذه، لكن الأمر لم يكن مسألة نظرية، بل كان ذلك الخط الفاصل ما بين شرف الأمة وخزيها"[1].

يقول نذير رشيد، وهو أحد أعضاء مجموعة الضباط الأحرار، إنه فوجئ بتدني حجم الذخيرة في مستودعات الجيش ونوع الخطط العسكرية التي يحتفظ بها الضباط الانجليز، وقد نقل ذلك للملك[2].

1. الحسين/ ليس سهلًا، صفحة 116.
2. نذير رشيد: مذكرتي، صفحة 69.

يكتب الملك فيما بعد: "كان دافعي الرئيسي لإنهاء خدماته (كلوب) هو عدم اتفاقنا على نقطتين: دور الضباط الأردنيين في جيشنا، واستراتيجيتنا الدفاعية. وحيث أن واجبي كملك هو ضمان سلامة شعبي وبلدي، شعرت إنني سأفشل في واجبي هذا إذا لم أستبدله"[1].

كان طرد كلوب، كقرار، خطوةً قام بها الملك منفردًا وبصورة سريعة، وكان يدرك أن فيها قدر من المخاطرة، وأنه ستليها مخاطرات أخرى في حياته. يقول الملك إنه تحدث مع رئيس ديوانه في ذلك اليوم،وقال: "هذا هو أحد أكثر الأيام أهمية في حياتي. لا أعرف كيف سينتهي، لكن المرء لا يعيش إلا مرة واحدة وبطريقة مشرفة"[2].

بهذه الخطوة، تكون قد مرت على الملكِ ثلاث سنوات في الحكم، وقد أصبح حينها في الحادية والعشرين، فتكونُ شخصيةُ الملك قد اكتملت إلى حد كبير، وكما كتب بنفسه: "لم تعد نصائح بريطانيا والخال والأم ضرورية"[3]. لقد دخل الملك إلى "ملعب خصومه" ومنافسيه، وخاصة على مستوى القضايا السياسية الكبرى، فحتى الانجليز ظنوا أولًا أن الرئيس المصري جمال عبدالناصر وراء خطوة الملك تلك، لكن ناصر نفسه أكد لوزير خارجية بريطانيا الذي كان في زيارته في القاهرة صباح ذلك اليوم، الثاني من آذار، أنه علم بخطوة الملك حسين من الإعلام، كما يشير إلى ذلك كلوب نفسه في مذكراته. لقد كان قرارًا ملكيًا بالكامل.

لكن هذا القرار نَقَلَ الملكَ الحسين إلى حيز سياسي جديد، فقد كتب السفير البريطاني تشارلز جونستون في كتابه الشهير: «الأردن على الحافة» ما يلي بخصوص أثر ذلك القرار على شخصية الحسين: «إذ بخبطة واحدة،

1. الحسين/ ليس سهلًا، صفحة 111.
2. الحسين/ المرجع السابق/ صفحة 120
3. الحسين/ المرجع السابق/ صفحة 131

نصّب نفسه على رأس الحركة الوطنية، بدلًا من أن ينجرف فيها، لكن الملك أصبح رجلًا صاحب إحساس رفيع جدًا»[1].

وفق روبرت ساتلوف، وحول الحدث ذاته، فقد "نقل الملك صورته من خادم للامبريالية إلى قومي عربي"[2]. وفي الواقع كان للملك حسين تصوره الخاص للعروبة والوحدة العربية والعلاقات العربية، وظل خلال عقوده التالية يطور هذا التصور. فقد لخص موقفه في هذا السياق، كالتالي: "لدينا أربع وحدات طبيعية، الهلال الخصيب، وشبه الجزيرة العربية، ووادي النيل والمغرب ويشمل الجزائر. لتجتمع الدول في هذه الوحدات بالطريقة التي تريدها لخطوة تجاه الهدف الأكبر، قيام أمة عربية واحدة. وليكن تجمعها طوعيًا، وليعتنق كل شعب فيه ما يريد أن يعتنقه، سواء كان ثقافة أو اقتصادًا أو دفاعًا، لتكن التحالفات السياسية، إذا كان لها داع، الخطوة الأخيرة. وحيث لا يكون ثمة خطر من سيطرة أي عضو في العائلة على الأعضاء الآخرين"[3].

1. ريتشارد جونستون، الأردن على الحافة، ترجمة فهمي شما، منشورات وزراة الثقافة والإعلام، والسفير مثل بلاده في عمان في الأعوام 1956-1960
2. ساتلوف/ من عبدالله إلى حسين، صفحة 135.
3. الحسين/ ليس سهلًا، 88.

5 - مع الحشود

ما تزال المشاهد التي جمعت الملك الحُسين مع الجمهور، أي مع حشود الناس، من أكثر المشاهد حضورًا في الذاكرة الشعبية على مستوى الأفراد والجماعات والمجتمعات المحلية. وفي الواقع يصعب تقدير حجم أو عدد المواطنين الإجمالي الذين عاشوا فعلًا، وبشكل شخصي، هذه المشاهد مباشرة. بل ربما يصعب إحصاؤها هي ذاتها. لقد قام الملك بجولات شاملة، بعضها منظم إلى حد ما، وبشكل دوري، وأخرى أقل تنظيمًا، حصلت في اللحظات أو الأحداث الوطنية الحساسة، كما وجد الملك نفسه أحيانًا وبشكل عفوي بين الجمهور في مناسبات عديدة، وفي بعض الحالات كانت الجولات تتم خلال موكب بالسيارات، وهو ما يعني أنها تشمل القرى والتجمعات الواقعة في مسير الموكب، وفي كثير من الحالات كان الملك يبادر إلى اقتراح زيارة جانبية أو التوقف في موقع ما، فيجد نفسه بين جمهور جديد. ولسنوات عدة، ظل الملك يحضر احتفالات تخريج طلبة الجامعة الأردنية ثم اليرموك ويصافح الجميع، كما حضر عددًا كبيرًا من المباريات الرياضية التي يتخللها الاندماج بالجمهور في لحظات معينة... والعديد من الأحداث المماثلة.

وبالطبع، في كثير من المناسبات، تكون هناك ترتيبات مُعدة مسبقًا، بصورة أو بأخرى، لكن في أحيان عديدة فإن البرنامج يجري تجاوزه على شكل اندفاعات من قبل الجمهور نحو الملك، ثم ينخرط المشاركون من الحضور في تناقل ما جرى مع كل واحد منهم؛ فهذا تمكن من مصافحة كاملة، وآخر ناله مصافحة سريعة برؤوس الأصابع، وثالث تمكن، وفق روايته، مِنْ تبادل إشارة خاصة مع الملك، ورابع حالت بينه وبين الملك اندفاعاتَ الناس أو أيدي رجال الحرس، ولكن هناك بالمقابل من

يكون نصيبه "دَفعة" أو "ضربة" من هنا أو هناك، ولكنها ستكون هي بدورها، وبالمحصلة، ذكرى طريفة بالنسبة لصاحبها... وهكذا.

عبر الزمن، أدرك الملك تطور صلته بالجمهور والحشود، وسجّل ذلك بنفسه مبكرًا عندما وصف لقاءاته الأولى بعد التتويج مقارنة بالوضع بعد أقل من عقد من الزمان، فكتب: "لم أكن في ذلك الحين (أول عهده) متمكنًا من فهم نفسية الجماهير كما أفهمها اليوم. ومنذ ذلك اليوم (اللقاء الأول) أصبح لدي الكثير من الخبرة في الجماهير -الجيد منها والسيء- وبات بوسعي وبشكل غريزي الحكم على مزاج حشود الناس بسرعة"[1].

لعل أولى التجارب البارزة للحسين في لقاءاته مع الجمهور كانت بعد قراره إنهاء خدمات الضابط البريطاني كلوب وطرده مع عدد من الضباط الإنجليز من الأردن، في الأول من آذار 1956. فقد انطلقت فور صدور القرار في العاصمة عمان وباقي المدن، مسيراتٌ احتفالية كبرى، وظلت الجماهير تندفع نحو قصر بسمان طول النهار، وعلى مدى ثلاثة أيام، وفق ما نُشر حينها في الصحافة المحلية.

حملت يومية "الدفاع" المانشيت التالي وهي تنقل من خلاله الخبر: "تمّت المعجزة، والأمة تزحف إلى القصر". ثم تحدثت الصحيفة عن ثلاثين ألف مواطن أمّوا القصر بعد شيوع الخبر، وواصلوا ذلك طوال النهار، بحيث أن الملك ألقى في ذلك اليوم أربعة خطابات مرتجلة من شرفته، أمام الجمهور المحتشد، وقد عطلت الدوائر أعمالها، كما عطلت المدارس، واحتاج الأمر في اليوم الثالث إلى كلمة من الملك نفسه، يدعو فيها المواطنين إلى استئناف حياتهم والانصراف إلى أعمالهم.

1. الحسين/ ليس سهلًا، صفحة 43.

لكن لقاءه المباشر الأكبر في تلك المناسبة، لم يكن في عمان، بل كان في مدينة نابلس كبرى مدن الضفة الغربية. ووفق أرشيف الصحافة، فإن الملك عندما علم بأن أهالي نابلس يعملون على تنظيم مسيرة مكونة من 300 سيارة للقدوم إلى عمان لتحية الملك وتهنئته، قرر هو أن يذهب إليهم بنفسه.

وتقدم الصحيفة وصفًا لزيارة الملك إلى نابلس كالتالي:

«انطلق الملك وموكبُه من عمان بالسيارة باتجاه نابلس، ومرّ بالقرى وبمخيمات الأغوار الواقعة على الطريق، حيث اصطف الناس في الشوارع، وعندما تجاوز جسر دامْية، التقى بكبار المسؤولين الذين رافقهم حوالي ألفي مواطن، ثم رافقته من هناك 200 سيارة إلى نابلس، حيث أقيم احتفال كبير، حضره مواطنون من مختلف مدن الضفة الغربية". وفي اليوم التالي، خرجت صحيفة "الدفاع" بعنوان يقول: "100 ألف يزحفون لاستقبال جلالة الحسين في أروع يوم عرفته نابلس". وتضيف الصحيفة، إن الموكب احتاج نصف ساعة لاجتياز مسافة 300 متر بين السّراي الحكومي في نابلس ودار البلدية فيها، وفي عودته مرّ موكب الملك على مدينتَي البيرة ورام الله، وتوقف لتحية الجمهور فيهما.

من الإشارات الدالّة على التطور الذي حصل في علاقة الملك بالجمهور في تلك المناسبة، أن حزبًا معارضًا جذريًا كالحزب الشيوعي، وجد أن عليه أن يشارك في استقبال الملك في نابلس وفق ما يذكره أمين عام الحزب فائق وراد في مذكراته: "قمنا بعمل لافتا ضخمة طولها عددة امتار يحملها عدد من الشباب مكتوب عليها شعارات ترحيب بالملك

حسين وبقراره التاريخية"[1]. وكان الحزب نفسه قد أرسل إلى الملك، بالمناسبة ذاتها، رسالة مفتوحة يحييه فيها على الخطوة، وأصدر عددًا خاصًا من جريدته السرية آنذاك "المقاومة الشعبية" لهذا الحدث، كما أبرق معارضون سياسيون في المنفى للملك مهنئين، بينهم الاسم الأبرز عبدالرحمن شقير، الذي كان قد غادر للتو إلى سورية بعد ملاحقته إثر موجة المظاهرات المعادية لحلف بغداد. فقد أرسل شقير بتوقيعه وتوقيع زميليه في المعارضة، نبيه إرشيدات ومسلم بسيسو من دمشق للملك يهنؤونه على "شجاعته وخطوته الجريئة"[2].

لم تكن كل لقاءات الملك مع الحشود تحمل المحتوى ذاته، إذ سوف تلي تلك اللقاءات مع جماهير كانت "مبتهجة" بعد طرد الجنرال كلوب، لقاءاتٌ أخرى للملك مع جماهير متوترة وقلقة، وذلك بعد سنة واحدة فقط، ذلك أن أجواء التحرر من الإنجليز وتعريب قيادة الجيش، تواصلت ورافقها انفتاح سياسي ونشاط حزبي متنوع، مُعارض ومُوالٍ، بلغ ذروته في إجراء الانتخابات النيابية التالية في تشرين أول من العام نفسه 1956م، وهي الانتخابات التي فاز فيها تآلف من الوطنيين الاشتراكيين والبعثيين والشيوعيين، وكلّف الملك رئيس حزب الأغلبية النيابية (الحزب الوطني الاشتراكي) سليمان النابلسي تشكيل الحكومة، وهو ما شكّل حدثًا، كان ولا يزال استثنائيًا في الحياة السياسية الأردنية.

لم تستمر تلك الحكومة سوى ستة أشهر انتهت بخلاف حاد وبأزمة سياسية استثنائية أيضًا، وقد رافقت ذلك، وفق الرواية الرسمية، محاولةُ انقلاب قادها عدد من ضباط الجيش من مجموعة الضباط الأحرار

1. فائق وراد.. مذكرات. خمسون عاماً من النضال، صفحة 70.
2. عبدالرحمن شقير/ من قاسيون إلى ربة عمون/ مذكرات صفحة 114
(نبيه إرشيدات طبيب وسياسي ويرجح أنه أول شيوعي من شرق الأردن. مسلم بسيسو: صحفي ومراسل في فلسطين، انتقل إلى الأردن وأسس صحيفة «الحوادث» عام 1951) .

بقيادة علي أبو نوار، (وهي رواية تنفيها المعارضة كما نفاها الضباط المتهمون بها في حينها وواصلوا نفيها لاحقًا[1]). لقد فشلت محاولة الانقلاب تلك، وكان للملك دورٌ فاعلٌ وقيادي وميداني في إفشالها، وخاض الملك حينها مشهد اندماج شخصي بجمهور من نوع خاص، عسكري ومدني، وقد روى الملك تفاصيل أحداث تلك الأيام بنفسه، في كتابيه "مهنتي كملك"، و»ليس سهلًا أن تكون ملكًا«:

فبعد وصول أنباء الفوضى التي حصلت بين أنصاره وخصومه في معسكرات مدينة الزرقاء توجه الملك نحوها (أي نحو الزرقاء)، والتقى في الطريق مع شاحنة تحمل عسكريين ومدنيين، يطلقون صيحات غاضبة ملوحين ببنادق وعصي. خرج الملك إليهم فعرفوه، وهنا يقول: "إن تلك كانت إحدى اللحظات الأشد إثارة لمشاعر النفس في حياتي، فقد فاضت عيناي بالدموع. تعانقنا جميعًا. كانت انفعالات النفوس بالغة أقصاها". ثم استمر في طريقه نحو المعسكر الذي تمرّد ضد الانقلابيين لصالح الملك، فيقول: "كنا نلتقي بمزيد من الشاحنات وبمزيد من الجنود الغاضبين ومن المدنيين، وكنا نسمع طلقات النار التي كانت تشتد حدتها كلما اقتربنا من مدينة الزرقاء... خرجْتُ إليهم وخاطبتهم، قائلًا: "هذا هو أنا الحسين، إن ملككم سليم ومعافى، إن حياتي ملك لكم، كل شيء يسير على ما يرام. عودوا إلى معسكراتكم وسوف ألحق بكم الآن". ثم يضيف: "كان المشهد يتجاوز حدود الخيال، ولقد انقضت تلك السنون على ذلك، ولكنني ما أزال أذكر كل دقيقة، كل ثانية، في هذه الليلة". ثم يواصل الملك وصف الفوضى والاضطراب في المعسكر والحرائق وإطلاق الرصاص بما فيه المدافع، ولكنه، كما كتب ذلك بنفسه، لم

1. راجع مثلًا مذكرات نذير رشيد، ومذكرات شاهر أبو شحوت (مخطوط) ومذكرات ضافي الجمعاني، وجميعهم من الضباط المتهمين بالضلوع في محاولة الانقلاب.

يغادر الموقع إلا بعد اطمئنانه على الأوضاع[1].

لكن الأزمة السياسية حينها لم تقتصر على محاولة الانقلاب تلك، ولا على حل الحكومة ومجلس النواب، بل تلتها أوسع حملة اعتقالات في تاريخ الأردن، طالت ألوف المعارضين، الذين أرسلوا إلى السجون موقوفين أو محكومين لسنوات، ولم تنته ذيول تلك الأزمة إلا بعد ثماني سنوات كاملة، (من نيسان 1957 وحتى نيسان 1965) حيث أفرج عن آخر مجموعة من المعتقلين. وبالطبع، كانت تلك السنوات الثماني قد شهدت عدة إفراجات جماعية وفردية، شملت معتقلين من انتماءات حزبية سياسية أو عسكرية مختلفة، بحيث أن آخر مجموعة معتقلين أفرج عنها في العفو الأخير في نيسان 1965، بلغ عدد أعضائها 135 معتقلاً جميعهم من الشيوعيين، كما سُمح، وفق العفو، لعشرات من المبعدين سياسيًا طوعًا أو كرهًا بالعودة إلى الأردن.

من الزاوية التي يعالجها هذا الكتاب، فإن أحداث تلك السنة شهدت بالنسبة للملك تجربة جديدة في إدارة العلاقة مع معارضين "جذريين"، بعضهم كان يطرح مواجهة النظام السياسي ككل، وفي الأثناء كان الملك يؤسس لعلاقة جديدة، فيها الكثير مما هو "غير رسمي" مع هؤلاء السياسيين الذين أخذت مواقف كثيرين منهم بالتبدل نحو التصالح أو نحو مزيد من الخصومة. لقد سمح الملك فورًا للاسم الأول بين المتهمين بقيادة الانقلاب، أي: علي أبو نوار، بالمغادرة بعد أن أعطاه فرصة النجاة، وقد تحدث الملك أكثر من مرة عن تلك اللحظات.. وعندما أفرج عن باقي المتهمين في محاولة الانقلاب، التقاهم الملك وأمر بإعادتهم إلى أعمال مختلفة مدنية وعسكرية أحيانًا، وسوف يشكّل ذلك أحد أبرز عناوين منهج الملك في إدارة علاقته بمعارضيه، كما سيأتي لاحقًا.

1. طالع التفاصيل في "مهنتي كملك" في الصفحات 135-140 .

خصص الملك حسين أكثر من خمس صفحات في كتابه: «مهنتي كملك» لوصف تفاصيل موقف الضابط علي أبو نوار، ابتداء من لحظة انهياره وصولًا إلى طلبه النجاة، ويختم بالعبارة التالية: "كثير من الناس يعتقدون بأنه قد أخطأني الصواب من جراء الإبقاء على حياته، ولكنهم نسوا عاملًا جوهريًا ليس له أي طابع شخصي ذاتي. إنني لا أستطيع أن أعرف ماذا كان سيعني اسم علي أبو نوار في السنين المقبلة لو تم إعدامه. وليس لي رغبة في أن أجعل منه بطلًا يميز فترة من تاريخ الأردن"[1].

كان السفير البريطاني في عمان ريتشارد جونستون، قد لاحظ جانبًا من التبدل في شخصية الملك بعد تلك الأحداث، فكتب لاحقًا في كتابه: "الأردن على الحافة" عن فترة ما بعد أزمة 1957 مايلي:

«حدث تغيير واضح في الملك نفسه: فقد انقلب فجأة من تلميذ بَدَهيّ في التخطيط إلى نضوج ومباشرة فورية في تدبير أمور الدولة. وعندما تبلورت الأوضاع اكتشف حالًا أن مفتاح الموقف هو ولاء القوات المسلحة، وبعد أن تأكد من هذا، بإسقاطه تمرد الزرقاء الفاشل، وجد الملك نفسه سيد الموقف في البلاد. ووهنت المعارضة وبقي هو قابضًا على السلطة.»[2]

بعد ذلك، وباستثناء بضعة أشهر من التوتر الذي رافق إنهاء الحكم الملكي الهاشمي في العراق، وانتهاء دولة الاتحاد الهاشمي بين العراق والأردن التي لم تعش سوى أربعة أشهر، تبعها حصول حصار شامل للأردن وتهديد حقيقي للنظام... باستثناء ذلك، فإن الحالة السياسية العامة الداخلية في الأردن كانت خلال سنوات مطلع الستينات تميل

1. مهنتي كملك. صفحة 140 .
2. الأردن على الحافة، تشارلز جونستون السفير البريطاني في عمان 1956-1960/ وزارة الثقافة الأردنية، ترجمة: فهمي شما، ص186.

تدريجيًا إلى الاستقرار، وسوف يتخلل ذلك حدث شخصي لكنه سرعان ما أخذ بعدًا عامًا، وخضع للنقاش، وجمع الملك مع الجمهور ومع الرأي العام ومع المقربين في دائرة الحكم العليا، وهو زواج الملك من الأميرة منى الذي عُورض بشكل علني في بدايته، والذي لم يحسم إلا بعد أن وجه الملك إلى الجمهور كلمة عاطفية كان لها الأثر الكبير في تغيير موقف الجمهور، جاء فيها:

«أنا طول عمري يا إخوتي أداري عنكم متاعبي وأخفي همومي. وكنت أخرج إلى لقائكم وعلى فمي ابتسامة لم تعرف طريقها يومًا إلى قلبي. كم مرة يا إخوتي أحسست بالوحشة تأكل أيامي وتلتهم لياليّ. وكم مرة شعرت بروحي تتمزق وتحترق في نار من الوحدة الكئيبة، وكنت يا إخوتي أتوق إلى دفء وهناء العائلة».

يكتمل الزواج، ويعين موعد الزفاف بالترافق مع يوم الاستقلال 25 أيار عام 1962، ويعد احتفال عام كانت أبرز محطاته موكبٌ ملكيٌّ كبيرٌ اخترق شوارع العاصمة وتخللته وقفات والتحام مع الجمهور الذي واصل المسير حتى القصر. ويبدو أن الملك أراد أن يجعل من الاحتفالات الشعبية تلك حجة على معارضي زواجه؛ فيورد أحمد الطراونة وهو حاضر وشاهد عيان على التفاصيل، أن الملك "بعد أن رأى أن الناس يرحبون وأنهم يرفضون مغادرة الديوان إلى بعد مشاهدة الملك والسلام عليه، سأله: ما رأيك الآن يا أبو هشام؟ فقلت رأيي مع الأكثرية يا سيدي". ويضيف موضحًا: "إنني كنت مترددًا في تشجيع الملك على الزواج من إنجليزية. وفيما يبدو كنتُ دستوريًا وأضع القوانين أمام عيني في كل كبيرة وصغيرة تعرض عليّ"[1].

1. أحمد الطراونة. قصتي مع الأردن. انظر الصفحات من 150-160

تسجل روايات عدة أن زواج الملك ذاك كان حدثًا حاضرًا بوضوح عند العموم، فلم يكن مجرد أمر شخصي خاص بالملك، خاصة وأن الملك نفسه كان ضحية لهجوم إعلامي عربي في وسائل الإعلام العربية المتأثرة بالناصرية، وقد حاول كثيرون ثني الملك عن خطوته تلك، لجهة رفض فكرة زواج الملك من أجنبية، فعلى سبيل المثال، تعد تلك المناسبة من أول وأبرز المناسبات التي خالف فيها وصفي التل الملك[1].

تفيد التقديرات بأنه وباكتمال النصف الأول من عقد الستينات، كان الحكم قد حسم مسألة أنه لم تعد هناك أخطارٌ حقيقية أو واقعية، من مصدر داخلي، على النظام السياسي[2]. لقد صدر عفو عام حمل التسمية الشهيرة "تبييض السجون" في نيسان عام 1965م، وبالفعل أخليت السجون تمامًا، وكان ذلك في عهد حكومة وصفي التل الثالثة، وكان قد سبق ذلك أكثر من عفو خاص، غير أن تبييض السجون هذه المرة شهد مناسبة أخرى لافتة شكلًا ومضمونًا، وحصل لقاء جماهيري لا يزال فريدًا من نوعه في سيرة الاجتماع السياسي الأردني، فقد حرصت الحكومة على أن يستفيد من العفو جميع السجناء بمن فيهم الذين تترتب عليهم حقوقًا شخصية تجاه آخرين، وخاصة في جرائم القتل، حيث يشمل العفو العام الحق العام فقط. ولهذا فقد دعت الحكومة إلى عقد ما يشبه "صلحة عشائرية جماعية"، حضرها أطراف الحقوق الشخصية الذين طلب منهم التسامح، وهو ما حصل أثناء ما سمي حينها "مهرجان المصالحة الوطني" الذي عقد في ساحة قصر رغدان وبرعاية الملك.

قبل ذلك، كان الملك في نهاية عام 1964 قد قام بجولة زيارات شاملة لكل المحافظات والمدن والبوادي، حصلت فيها لقاءات جماهيرية كبيرة:

1. ملك التل،وصفي التل، مشروع لم يكتمل. صحفة 24
2. أوضح ذلك مدير عام مخابرات سابق في مقابلة مع الباحث أجريت بخصوص بحث آخر عام 2016

18 تشرين الأول زيارة إلى القدس.

21 تشرين الأول، زيارة إلى عجلون (اللواء الشمالي كله) مرورًا وتوقفًا في كل النقاط حيث اجتمع المواطنون.

25 تشرين الأول، زيارة إلى مدينتي جنين ونابلس في الضفة الغربية.

28 تشرين الأول، زيارة إلى الخليل وبيت لحم في الضفة الغربية.

3 تشرين الثاني، زيارة إلى البلقاء والزرقاء.

4 تشرين الثاني، زيارة إلى اللواء الجنوبي وشملت أم العمد وذيبان ومأدبا والكرك والطفيلة والرشادية ومعان.

وفق الأرشيف، فقد ألقى الملك في زيارة الجنوب وحدها 14 كلمة أمام جمهور المواطنين.

جاءت هزيمة حزيران 1967م لتلقي بظلها على المزاج العام، وهو ما انعكس على تواصل الملك مع الجمهور العام، ويحمل الأرشيف أنباء اجتماعات موسعة غير جماهيرية عقدها الملك، فقد شكل الملك هيئة استشارية من شخصيات من خارج الحكومة، ووجه رسائل لرفع العزيمة مجددًا والتصدي لأجواء اليأس، ولكن الأحداث أخذت بالتسارع، خاصة مع استمرار العدوان الإسرائيلي وارتفاع نشاط المقاومة ضد العدو.

ففي السنوات الأخيرة من الستينات قام الملك بزيارات عديدة للقرى والمدن التي كانت تتعرض للقصف الإسرائيلي وقابل حينها حشودًا متفاوتة في المشاعر بين الحماس والقلق والحزن وخاصة في حالة القرى والمواقع التي سقط منها شهداء في عدد من المجازر، فقد زار الملك قرية

كفر أسد التي شهدت واحدة من هذه المجازر في عام 1969، ووفق شهود عيان فقد حضر الملك إلى القرية فيما كان طيران العدو يحلق في الأجواء[1]. كما زار قرية زحر في الشمال التي شهدت مجزرة مماثلة، وزار غور الصافي جنوبًا، بعد مواجهة عنيفة، وزار السلط وأجرى لقاءات جماهيرية كبرى بعد الاعتداء الشهير على المدينة عام 1968، ويكتظ الأرشيف بالصور والتقارير عن مجريات تلك الزيارات.

كنموذج لمجريات واحدة من هذه الزيارات، نورد فيما يلي مقتطفات مختصرة في وصف زيارة قام بها الملك إلى مناطق الجنوب في 13 تموز 1968 وفق ما نشرته الصحف.

حملت صحيفة الدستور الصادرة في 14 تموز 1968 العنوان التالي: «تفقد الحسين إنجازات الدولة في محافظة معان"، وفي وصف الزيارة، نقرأ:

«قبل الظهر وصل الحسين إلى الشوبك، وجرى له استقبال رسمي وشعبي أمام مبنى البلدية، حيث صافح كبار المستقبلين، واستمع لكلمة ألقاها رئيس البلدية.

استمع الملك لمطالب البلدة واحتياجات السكان واطمأن إلى أوضاع سكان الناحية، وطلب إلى المواطنين أن يعملوا بيدٍ واحدة وقلبٍ واحد، للاستمرار في دعم مسيرة الوطن في مرحلة الصمود والبناء التيً يجتازها.

وصل إلى مدرسة الشوبك الزراعية، وفي الاستقبال وجوه وأعيان وأهالي الشوبك والقرى المجاورة، ألقى كل من مدير الناحية ورئيس مجلسها القروي كلمة ترحيبية. وعُرضت أمام الملك مطالب الأهالي وأمر بتنفيذها.

1- مقابلة جماعية أجراها الكاتب مع عدد من مواطني بلدة كفر أسد/ حزيران 2019

ثم انتقل إلى الحسينية، حيث أقيم سرادق، ألقى شيوخ المنطقة، الكلمات عن الصمود والبناء في المنطقة وتوطين البدو، ألقى المراقب العام لمشاريع استصلاح الأراضي الصحراوية في وزارة الزراعة، كلمة فيها شرح واف لمشروع قرية الحسينية النموذجية، وبعد أن استفسر الملك عن أحوال وأوضاع عشائر الحويطات ألقى كلمة جاء فيها: نصمم على الدفاع عن حقنا وأن نستمر في البناء في الوقت ذاته. أعتز بإخلاصكم وصمودكم أمام الصعوبات، الأسرة الأردنية يد واحدة، اعتزازي بكم، المستقبل أكثر إشراقًا، والله معنا.

ثم توجه إلى الجفر، حيث كان اللقاء أطول نسبيًا، استمع الملك إلى تفاصيل من وزير الزراعة ومن ممثل الأمم المتحدة في عمان. هنا كان اللقاء عمليًا حيث استمع الملك إلى تفاصيل تطور مشروع التوطين وبعض استثمارات في مجال المياه والزراعة. التقى مع جموع الناس، وافتتح إحدى مراحل المشروع السكني ووزع عقود الإيجار على أصحابها.

ثم توجه الملك إلى معان، حيث تلقى كلمات للمحافظ ورئيس البلدية واستمع لقصيدة لقاضي معان الشرعي، ألقى الملك كلمة تحدث فيها عن: بناء البلد على أفضل الأسس ليقف قويًا يواجه الأخطار والتحديات، ويؤدي واجبه نحو أهلنا وإخواننا في الضفة الغربية والمناطق العربية المحتلة، يدًا واحدةً وقلبًا وأحدًا. ثم حضر مأدبة غداء أقامتها البلدية، الساعة الرابعة والنصف غادر إلى العقبة، وتوجه إلى شرفة البلدية ليحيي الجمهور المحتشد أمامها، استمع لكلمة رئيس البلدية، وأخرى لواحد من وجهاء العقبة، ثم ارتجل الملك كلمة، وسوف نورد فيما يلي بعض المقتطفات الطويلة نسبيًا منها للإشارة إلى أسلوب الملك في الخطب غير المكتوبة، حيث كانت الجمل تتناثر تقطع بينها فواصل زمنية، بما يجعلها أقرب إلى الكلام العادي في الجلسات الشخصية:

سنة طويلة مرت لم أستطع اللقاء بكم، وأعدكم على اللقاء سنلتقي دومًا، أكدت في جولاتي لكل الأسرة الواحدة أن سبيلنا للوصول إلى أهدافنا عن طريق الصبر مع العزم والتصيمم على الثبات والثقة التامة والاطمئنان على أن كلا منا يعمل في سبيل الوصول إلى أهدفانا العليا مهما كانت التضحيات، علينا أن ننقذ أهلنا في الضفة الغربية. هذه الأرض أرضنا وأرض آبائنا وأجدادنا، وسنعيش عليها ومصممون على الدفاع عنها حتى الموت، فالمعركة ليست معركة سلاح فقط بل معركة إيمان وتصميم وعزم وعلم. المسؤوليات جسيمة وكل منا يتحملها وأريد من كل منكم أن يؤدي واجبه، وبمقدار وحدة الصف والكلمة، والإيمان والعزم والتصميم، سأسير معكم في طريق النصر نحقق أهدافنا. وهكذا فقط نستطيع أن نؤدي واجباتنا تجاه وطننا في الضفة الغربية والمناطق العربية المحتلة الأخرى. واختتم الملك جولته في العقبة، وألقى كلمة في جموع الناس، ذكرهم بمدينتهم التي كانت قرية صغيرة، وما هي عليه اليوم[1].

مع عقد السبعينات، ومع استقرار الوضع الأمني بعد انقضاء أزمة 1970/ 1971، تكون قصة علاقة الملك مع الجمهور قد اكتملت، كتب الملك بنفسه عن فترة الازمة: "قمت بجولات عادت عليّ بالكثير من الراحة النفسية، إذ كانت بالنسبة لي مَدْعاة لتقوية المعنويات عجيبة. في القواعد العسكرية استقبلت بهتاف "يا حُسين، يا حُسين"[2]، ثم يضيف: "منذ ذلك الحين، غدوت وَليّ الأمر في بلدي".

فيما تلا من سنوات، أصبحَتْ اللقاءات مع الحشود أمرًا اعتياديًا إلى حدٍ كبير، وتنوعت المناسبات، ولم يعد حصولها يحتاج دومًا بالنسبة

1- يومية «الدستور» 14 تموز 1968.
2- مهنتي كملك/ صفحة 247 .

للملك نفسه إلى إعداد مسبق. تطالعون في القسم الثاني مثلًا شهادة المذيع التلفزيوني الرياضي محمد جميل عبد القادر، وكيف أنه كان بمقدروه أن يقترح على الملك حضور مباراة كانت تجري بمحض الصدفة تقام قريبًا منه، ويحضرها الملك بالفعل. بل ستطالعون كيف يقرر ملازم في الحراسة الملكية، جهاد الغرايبة، أن ينادي على الملك بصوته العالي وبمبادرة من الملازم، وذلك لأن جمهورًا حضر إلى بوابة القصر يريد مقابلة الملك، ويحضر الملك فعلًا ويلتقي بجموع كبيرة في العقبة.

في سياق الإعداد لهذا البحث، أجريت مقابلة جماعية في قرية صبحا وصبحية شرقي المفرق، حيث تقيم عشيرة السردية، وقد أفاد شهود عيان عن زيارة قام بها الملك إلى المنطقة الحدودية، ثم قرر فجأة زيارة الأهالي، ومن ضمن ذلك مدرسة القرية، حيث صافح طلابها فردًا فردًا، ثم زار أحد بيوتها، والتقى بالناس بلا ترتيبات مسبقة.

وفق شهادة أحد ضباط الحرس الذي عمل مرافقًا لسنوات العميد المتقاعد محمد الزعبي، فإنه رغم محاولات ضبط الحشود حول الملك، إلا أنه في كثير من الأحيان كانت الأمور تخرج عن السيطرة، خاصة وأن الملك لم يكن يقبل أن يُعامل الجمهور بقسوة، وقد أكد العميد الزعبي الذي عمل في مرافقة الملك لسنوات، أنه حصلت أمامه ولمرة واحدة، بمناسبة افتتاح أحد المساجد في غرب عمان، أن دُفِع مواطنٌ بقسوة، وأن الملك غضب فعلًا وأبلغ قائد الحرس عن امتعاضه من المشهد، ويضيف أن الملك كان دومًا يركز على التعامل الإنساني. ويؤكد الزعبي أنه كان شاهدًا على حشود كبيرة لم يستطع الحرس السيطرة عليها، ورغم الترتيبات المسبقة، لكنه يقول إن التصرف تجاه ذلك يعود لتقديرنا، فغالبًا ما تكون درجة الأمان مقبولة.

يقول الزعبي، أنه حصل مرة عام 1984 وكان يوم جمعة، ان أُبلغْنا بأن الملك "عِنْدُهْ طَلْعَة"، ورافقناه فيها، وكان يسوق بنفسه ومعه الملكة نور، ومررنا قَرب الجامعة الأردنية، فصادف أنْ كانت سيارة قد انقلبت في الشارع للتو، وكان الغبار لا يزال يتصاعد منها، فتوقف الملك، وتوقفنا ورفعنا السيارة معًا، وسرعان ما اجتمع الناس حولنا، فاقتربتُ منه وقلت له: يا سيدي تحرّك ونحن نقوم بالواجب ونؤمن المصابين بناء على أوامرك. يؤكد الزعبي أن الحدث بقي في نطاق من كانوا شهودًا عليه ولم يسجله الإعلام، ولم يكن أحد معنيًا بالتسجيل والتوثيق.

يشير الزعبي إلى أن زيارات الملك إلى معسكرات الجيش، يرافقه الحرس ولكن من دون أي تدخل لأننا، عسكر مثل بعضنا. يصف علاقة الحرس وتصرفهم في وجود الملك بـ"الأريحية المنضبطة"[1].

1- مقابلة مع العميد المتقاعد محمد الزعبي.

6

الملك يُريحك

لعل العبارة الأكثر تكرارًا في وصف الملك الحسين هي أنه "يريحك"، وقد يوضح بعضهم: "رغم ما له من هيبة لكنه يريحك بسرعة". إن الوصف يتكرر بشكل خاص في حالة الأشخاص الذين عملوا قرب الملك أو معه مباشرة، في الديوان الملكي مثلًا، كما في حالة الأشخاص الذين يمرّون بمحض الصدفة أو مقتضيات العمل، في علاقة مباشرة مع الملك.

ففي أول زيارة للملك لعشائر السردية في "صبحة وصبحية" في البادية الشمالية، وكانت في عام 1978. يتذكر محدثنا أن رجلًا من أبناء القرية اسمه دهوك العبدان، وكان ضخم الجسم، ذبح ناقتين تحية للملك، وبعد أن أتم الذبح، رفع السكين (الشبرية) وتقدم باتجاه الملك وهو يهدر "ايْهَدِرْ" أي يخرج أصواتًا خاصة للتعبير عن النخوة والحميّة، فحاول الحَرس الحيلولة بينه وبين الملك كإجراء أمني، لكن الملك كان يعرف دلالات حركة الرجل وأمرهم بإخلاء الطريق أمامه واستقبله وصافحه".

ولا تزال القرية تردد القصة الطريفة التي حصلت مع ابنها جندي الحرس عيد عبدالله القطعان الذي كان ذات يوم في دوامه كجندي حراسة ملكية في إحدى النقاط في القصر، وكان قد اعتاد من أحد الطباخين، واسمه حسين، أن يزوده بوجبة عشاء يوميًا مما يتوفر في المطبخ. وفي تلك الليلة، يتصل الجندي عيد مع الطباخ حسين، لكي يسأل عن وجبته، ويصدف أن الملك حسين يكون في تلك اللحظة في المطبخ، فيرفع الملك السماعة، يسأله الحارس: مَن معي؟ فيقول له: حسين. فيواصل الجندي: أين العشا يا حسين، استعجل، ولَكَ عندي

سيجارة ريم (وهو نوع سجائر اشتهر حينها)". فيحمل الملك صينية العشاء ويتجه إلى الحارس الذي يصاب بالصدمة ويعجز عن التصرف، فيمازحه الملك أولًا، يبلغه أنه سيتركه يتعشى وحده ولكنه يريد منه سيجارة الريم التي وعده بها".

في مجال آخر، ثمة مثال آخر، فقد كان الملك معروفًا بممارسة هواية الاتصال بالراديو، التي كانت منتشرة دوليًا، وكان الملك عضوًا في النوادي الخاصة بذلك وله أصدقاء على مستوى العالم. وكان للنادي فرع شهير في مدينة مأدبا الأردنية، وكان هذا النشاط ونواديه تابعًا لمؤسسة رعاية الشباب التي سبقت قيام وزارة الشباب. ويتذكر أكرم مصاروة، وهو من قدامى موظفي المؤسسة، أنه ذات يوم/ في أيلول 1971: "جلستُ خلف الجهاز، وأطلقت نداء "سي كيو.. سي كيو" وهو نداء يوجه لمن هو متوفر على الخط طلبًا للحوار، فرد علي صوت يقول:jy1 وهو رمز الملك حسين، فقلت له أنا jy6 am وهذا رمزي، فتحدثنا سريعًا، وقلت له إنني من مأدبا، وعندنا فرع للنادي وقريبًا سنخرّج أول دورة هواة راديو من شباب مأدبا، فقال: إذن سأحضر التخريج. في اليوم التالي اتصل الشريف فواز وكان مدير مؤسسة رعاية الشباب، وقال لي: شو عامل؟ فحدثته، فقال: الملك جاي غدًا إليكم.

يكمل مصاروة: بسرعة أجرينا الاتصالات اللازمة للاستقبال على مستوى المحافظة وأحضر الطلاب وجرى استقبال كبير، حضره ألوف المواطنين الذين اصطفوا على الشارع العام، وحضر جميع وجهاء المنطقة، وبالفعل حضر الملك، وأذكر أنه بادرنا بالقول: "هيك غلبتوا حالكو"، وخرّج الدورة وكانت مختلطة من الذكور والإناث.

في عام 1979 زار الملك مدينة الرمثا بعد حادثة شغب ملاعب كبيرة عوقب إثرها فريق الرمثا لكرة القدم، وأوقف عدد من اللاعبين، وكانت الأجواء في المدينة في غاية التوتر. كان زيارة الملك فجائية فقد كان في طريقه إلى هدف آخر. ويحصل أن يلتقي الملك، وبمبادرة منه، مع إدارة النادي بسرعة ويستمع إليهم، وعندما هم بالمغادرة يقول له رئيس النادي: ما بتطلع إلا بعد أن تشرب "اينر"! وهو شراب القرفة مع الجوز، وكان قد اشتهر حينها في الرمثا. فسأله الملك: وهل تتقنون عمل الإينر؟ فقال له: ذوق وشوف. وأحضر له شراب الإينر، وعندما انتهى السائل صار الملك يمد يده ويخرج قطع الجوز، وهو يشيد بالاينر الرمثاوي[1].

لقد شكّلت هذه القصة حديث الأهالي لفترة طويلة، وأشاعت ارتياحًا جماعيًا في المدينة بعد توتر شامل.

يتذكر المذيع الرياضي محمد جميل عبدالقادر حالة الارتباك الشديدة التي كان فيها عند البدء بتصوير أول مقابلة رياضية مع الملك عام 1971، وكانت على قارب رياضي في العقبة، أن الحسين عندما لاحظ ارتباكه (أي ارتباك المذيع) لحظة البدء، أخذ منه ورقة الأسئلة ونظر إليها ثم كوّرها بيده وألقى بها في البحر، وقال له: دعنا نأخذ جولة أريك فيها خليج العقبة كاملًا بما فيها الجزء الذي كان قد ضم لاحقًا إلى الأردن، وراح يشرح له عنه، ثم قال له: هات ما عندك![2]

قبل ذلك بسنوات، أُبلغ الفنان التشكيلي مهنا الدرة أنه مطلوب للديوان الملكي. ولم يبلغه أحد سبب الدعوة. وذهب في اليوم المحدد، ويقول إنه

1- مقابلة مع رئيس نادي الرمثا عبد الحليم سمارة.
2- مقابلة مع محمد جميل عبدالقادر

تنقل بين عدد من المكاتب إلى أن أدخل إلى غرفة، فجلس على أحد الكراسي فيها، وبعد لحظات كان الملك يخرج إليه شخصيًا، ويصافحه ويجلس على طرف الكنبة التي يجلس عليها الدرّة، فيبلغه الملك أنه شاهد فيلمًا عن معرض أقامه مهنا الدرة في روما في إيطاليا وأنه فخور بما شاهده، وأنه جاهز لتقديم أي دعم يريده[1].

في السبعينات اشتهرت مخيمات الشباب في عجلون التي كان يرتادها المئات من أعضاء مراكز الشباب. وذات يوم، قرر الملك زيارة المخيم وتناول الغداء مع الشباب. وفي اليوم السابق للزيارة حضرت إلى المخيم مجموعةٌ من رجال الحرس الملكي، وطلبوا تفريغ غرفة خاصة لهم، وذلك لكي يجهزوا "المنسف" الذي سيأكل منه الملك عند زيارته. في اليوم التالي حضر الملك فعلًا والتقى بالشباب، وعند موعد الغداء، تناول قليلًا من المنسف المعد بشكل خاص له، ثم تجوّل على كل الطاولات وأكل من الطعام الموجود أمام جميع الشباب. كم كان ذلك مؤثرًا عند الشباب والمشرفين، وفق رواية عبد الله العتوم أحد المشرفين الدائمين على تلك المخيمات[2].

على صعيد العمل الإداري اليومي، فقد سجّل بسام الساكت بعض ذكرياته عن العمل مديرًا عامًّا للديوان الملكي، وأسلوب الملك في التعامل مع الموظفين محدودي العدد حينها، وكيف كانت الخطوة الأولى عند وصول الملك لمكان عمله هي المرور على صغار الموظفين والاطمئنان عليهم قبل أن يصل الموظفين في المواقع المتقدمة، الذين عليهم أن يكونوا في استقباله رسميًا.

1- مقابلة مع مهنا الدرة
2- مقابلة مع عبدالله العتوم في منزله في سوف

يؤكد أحمد عبيدات رئيس الوزراء ومدير عام المخابرات الأسبق: "كان الملك مستمعًا جيدًا، ولم يكن يقاطع المتحدث إلا عندما يريد أن يستفسر عن أمر ما، ولم يكن يكتب ملاحظات بل يعتمد على الذاكرة". ويضيف: "اللافت قدرته على استيعاب الأشخاص مع تغير الظروف والأحوال، كان يعرف كل الذين يتعامل معهم، من مختلف الأجيال، ويعرف إيجابيات وسلبيات كل منهم. ولم يكن يواجه الأشخاص بسلبياتهم، بل يحاول الاستفادة من إيجابيات الشخص والتغاضي عن سلبياته، وكان يعرف أن رجلًا ما، قد يصلح لهذه المهمة ولا يصلح لغيرها، وتصرّف على ضوء أن كل واحد، حتى لو أخطأ، قد يكون مفيدًا في مرحلة لاحقة".

ويوضح عبيدات أن الملك حسين كان "عندما يذكر أمامه أخطاء شخص ما عادة ما يقول: تذكّروا يا إخوان أنه فيما سبق عمل كذا وكذا، لم يكن ميالًا للحدية في التعامل مع الآخرين".

ويصف أسلوب الملك بأنه تميز بالعامل الإنساني: "كانت شخصيته تبدو طبيعية، كنت أحس بذلك، فيحصل أن نذهب إلى المطار، وقبل أن يصعد إلى الطائرة ليقودها، لا يغفل عن مشاهدة الفنيين أو ضباط الصف، وعادة كان يعرفهم بأسمائهم، فيسألهم عن أحوالهم وعن أسرهم.. كان يقوم بذلك بشكل طبيعي.. وليس لكي يقول: صَوّروني".

في ممارسته السلطة، اختار الملك صيغته الخاصة، لقد أتقن كما يبدو معادلة الجمع بين سلطة التأثير وسلطة الأمر[1]، فالأولى أي سلطة التأثير تتطلب الرضى من طرف من تقع عليه السلطة، فيما لا تتطلب سلطة الأمر ذلك، كان الملك الحُسين ميالًا لممارسة سلطته عبر التأثير أكثر

1- حول هذه المفاهيم راجع فيليب برو. الاجتماع السياسي، صفحة 41

منها عبر الأمر، وذلك بالطبع باستثناء الحالات التي كانت تتطلب غير ذلك، ففي الأزمات، كثيرًا ما خرج الملك على الناس بصوته وصورته وهو يقول: "لقد أصدرت أوامري". لكنه في الظروف العادية، ومع العاملين معه أو في لقاءاته التي يقرر فيها توجيه رسالة ما، كان يمرر رغباته من خلال جمل محددة أو إيحاءات، قد تظهر كأنها عابرة. يصف هاني الخصاونة الملكَ الحُسين بأنه كان "جبّار خواطر" في علاقاته بالمحيطين، كما يتذكر ضابط الحرس محمد الزعبي، موقفًا طريفًا في هذا السياق، فقد كانت أحد جنود الحرس مكلفًا بالوقوف في مكان محدد في حديقة القصر، وحصل أن الملك كان مع عدد من أصدقائه يتناولون وجبة العشاء مساءً، وأراد الملك أن يكون حديثهم خاصًا غير مسموع، فنظر إلى الحارس وقال له: تفضل على الطعام. فأجاب الحارس الإجابة النموذجية بالشكر ومؤكدًا أنه يقوم بواجبه في الحراسة، كان الملك يريد بصورة غير مباشرة لفت انتباه الحارس إلى الابتعاد، وقد اضطر للاتصال بالمسؤول عن الحارس متجنبًا الطلب المباشر الذي قد يجرح الحارس.

يتذكّر نقيب الصحفيين الأسبق سليمان القضاة أنه كان شاهدًا على مثل هذه الحالات التي كان الملك يعمد فيها إلى الإيحاء، وقد يدعو إلى لقاء، ويتضح في نهايته أن الملك كان يريد أن يوصل رسالة بمناسبة حدث معين، فيقوم بذلك عبر كلمة مثل "هاي بلدكم يا إخوان"، وحصل أن النقابة اختلفت مع احد وزراء الإعلام، فيدعو الملك مجلس النقابة إلى لقاء، ولكنه لا يتطرق إلا في ختام الكلام وبعبارة بدت وكأنها هامشية، عندما قال إن الوزير شاب ممتاز ديروا بالكم عليه.

يوضح فيليب برو وهو يعرض الفرق بين صنفي السلطة هذين، إن "رفض الاستجابة للأمر سوف يقود إلى توتر، باعتبار أن ذلك يتطلب إيقاع عقاب، لكن رفض التأثير قد يليه حرمان أو منع تعويض ما[1].

1- المرجع السابق

7

خاتمة الجزء الأول

في الصفحات السابقة حاولت أن أعرض -مع قدر من التحليل- جانبًا مما اقترحت تسميته "التاريخ غير الرسمي الأردني" متتبعًا سيرة الملك الراحل حُسين، في مارسته السلطة والحكم على المستوى الوطني/ الداخلي، وذلك بعد أن قدمت في الصفحات الأولى ما أظن أنه تجربة في السياق ذاته ورثها الملك من العقود الثلاثة التي عاشها بلدنا الأردن قبل عهد الحسين.

اعتمدت مدخل التاريخ الشفوي -وفق تعريف خاص حددته في مطلع الكتاب- وهو التاريخ الذي تجسد، في الواقع وفي الذاكرة العامة للأردنيين، على شكل حكايا كان الملك شخصيتها الرئيسية. وكما يحصل في كل الحكايا، فقد تناقل الناس حكاياهم مع ملكهم، وأجروا عليها بعض التعديل والتطوير وأضافوا إليها بعض الخيال أحيانًا، وشكلت في المحصلة، صنفًا من الأدب السياسي الشعبي، أصبح مع مرور الزمن جزءًا من سيرة البلد والشعب والدولة ككل.

لقد صاغ الملك الراحل معادلته الخاصة في الحكم على المستوى الداخلي، وقد أنتجت تلك المعادلة بالنسبة للملك، قدرًا كبيرًا من التوازن بين العوامل المؤثرة: متطلبات البلد والناس والعرش والعائلة. وفي النهاية أسهمت تلك المعادلة في استمرار وبقاء واستقرار النظام والدولة رغم، وربما في، مواجهة ظروف صعبة.

في لحظة أزمة كبرى مثل تلك التي حصلت في نهاية عقد الثمانينات، الأزمة الاقتصادية والسياسية التي سبقت هبة نيسان 1989 في مدينة

معان والجنوب وانتقلت إلى مناطق عديدة، وإلى جانب الإجراءات الرسمية لوقف الاحتجاجات ثم الإعلان عن خطوات الانفتاح الديمقراطي، كلف الملك أحد كبار قادته بأن يطلب من خمسة شخصيات من مناطق ومواقع ومواقف مختلفة أن يزودوه بآراء مكتوبة وصريحة تعطي الملك فكرة واقعية قادمة من الميدان عن حالة المجتمع، وقد روى المحامي والنائب السابق محمد الطراونة أنه كان أحد الشخصيات التي استكتبت، وأنه كتب رسالة "قاسية"، وقد أبلغ لاحقًا بأن الملك اهتم بها وقرأها بعناية[1].

تلك، مثلًا، كانت خطوة غير معلنة، لكن الملك كان أيضًا يكثف من تواصله غير الرسمي ولكن المعلن، مع القاعدة الشعبية.

وستطالعون في الجزء التالي من هذا الكتاب شهادة مهمة لأبرز مؤسسي الجامعة الأردنية وأول رئيس لها، الدكتور ناصر الدين الأسد، عن أن الملك كثيرًا ما كان يتواصل، وفي زيارات بلا إعداد مسبق مع الطلبة.. "فما يكاد رئيس الجامعة يخرج من باب مكتبه أو مسكنه حتى يرى الملك أمامه بابتسامته المعهودة التي تشيع في النفس الهدوء والطمأنينة، وكان جلالته يطيل المكث في الجامعة: يجوس خلالها ويسير في طرقاتها بين أشجارها الباسقة، يجيل عينيه فيما حوله، مستمتعًا مرتاحًا، أو يزور بيت الطلاب وبيت الطالبات، وما أن يسمعوا بمقدمه حتى يتقاطر هؤلاء الطلبة من حجراتهم إلى حجرة الجلوي، فيباسطهم ويداعبهم ويسألهم عن احوالهم وما يحتاجون إليه، وهم متحلقون حوله، ناسين واجبات الضيافة من شدة إقبالهم عليه، فينبههم بقوله: "أين الشاي؟"، فيسارعون إلى إعداده، فيشربه معهم".

1- مقابلة مسجلة أجريت في بحث سابق مع السيد محمد الطراونة في مكتبه في عمان

عند بدء الإعداد لهذا الكتاب، أعلنت عن ذلك، لعلي أحصل على شهادات متنوعة، فتواصل معي مواطن مقيم في السعودية وأرسل لي حكايته عندما كان فتى مشاركًا في معسكرات الحسين للعمل الشبابي عام 1963، فقد استوقف موكب الملك بمبادرة منه وبرفقة عدد من زملائه، وقد شكلت -كما يقول صاحبها- واحدة من أجمل وأعمق ذكرياته هو وزملائه.

لقد سعى الملك إلى فهم شعبه، وكان سعيدًا وهو يتعرف على ما أسماه "بروتوكول الشرف والشجاعة والكرم" الذي يطبقه المواطنون في التعامل معه، وكتب: "كنت أحب ذلك الاختلاف عن الوقار المتزمت للحياة في القصر"[1].

1- الحسين/ ليس سهلا أن تكون ملكًا/ صفحة 63

الجزء الثاني
شهادات وحالات

تقديم

تطالعون في هذا الجزء، مجموعة من الشهادات، أو بالأحرى الحالات. وهي ملخصات مكثفة لتجارب شخصيات كانت لها علاقات مباشرة مع الملك الراحل الحسين.

لا تمثل هذه الحالات كل عناصر التاريخ غير الرسمي، بالشكل الذي حُدد كموضوع لهذا الكتاب، إنها مجرد نماذج، اخترناها لأننا قدرنا أنها تعكس جانبًا من التنوع في عناصر الظاهرة التي ندرسها.

أولها "قصة أسرة" عاش أفرادها علاقة مركبة مع الملك حسين، أول فرد فيها كان الطيار الخاص للملك، فقد حياته في حادث مأساوي، والثاني قائد سلاح الجو، وهو في الواقع أول قائد أردني لهذا السلاح، اختار أن لا ينفذ مهمة قتالية جاءت في ظرف سياسي خاص، فقاد طائرته نحو «الخصم» في القاهرة عام 1962 والتحق طيارًا عسكريًا في الجيش المصري، فيلتقيه الملك بعد سنتين ويصدر عنه عفوًا خاصًا، والثالث طبيب بدأ حياته معارضًا، ثم التحق بالخدمة الحكومية ليصبح وزيرًا مع قدر من الود في علاقته بالملك، لكن العلاقة تنهي بخلاف على السياسات.

الثانية، قصة رجل انتقل بعد تجربة حزبية إلى الخدمة في الدائرة المقربة من الملك رئيسًا للتشريفات وليعيش مع الملك 41 يومًا من أقسى أيام التاريخ الأردني ابتداء من منتصف أيلول عام 1970 حيث أمضوا تلك الأيام معًا ضمن فريق من حوالي 15 رجلًا محاصرين في أغلبها في قصر الملك غرب عمان.

الثالثة لصحفي ونقيب صحافيين أسبق، عرض فيها بعين الصحفي مواقف الملك من مهنة الصحافة ومن دورها، وقدم في شهادته جوانب خاصة من شخصية الملك.

الرابعة والخامسة لرجلين عملا بالقرب تمامًا من الملك؛ في الديوان الملكي، في فترة كان عدد موظفي الديوان يحسب على أصابع اليدين، وفي فترة هدوء نسبي، وقد عرضا جوانب من يوميات العمل قرب الملك، كاشفين عن بعض جوانب نظرته إلى مهماته.

السادسة والسابعة، لفنانة وفنان، الأولى مطربة غنت أشهر الأغاني الوطنية والشعبية والثاني لرائد الفن التشكيلي، قدما شهادتيهما أو تجربتيهما اللتين تشيران إلى عناية الملك بالفنون.

الثامنة والتاسعة، فيهما تجربتين فريدتين لمعارضين من مؤسسي «جماعة الضباط الأحرار الأردنيين»، واتهما في قضية محاولة الانقلاب الشهيرة في عام 1957، وواصلا علمهما السياسي والعسكري "المعارض" بعد الإفراج عنهما وكانت لهما تجربة لاحقة مع الملك.

العاشرة، لرجل كان صديقًا وزميلًا للملك في طفولته في مدرسة فكتوريا في الإسكندرية، ثم انتقل للعمل قريبًا منه قبل أن يرشحه وزيرًا، وهي تظهر جانب من وفاء الملك لأصدقائه.

الحادية عشرة والثانية عشرة، فيهما تجربة رجلين خدما عسكريين في الحرس الملكي، أحدهما كان مرافقًا للملك لزمن، والثاني كان شاهدًا عفويًا على لحظات خاصة من حياة الملك.

الثالثة عشرة، لمذيع تلفزيوني من الجيل الأول متخصص بالرياضة كانت له تجربة إجراء أول مقابلة رياضية مع الملك جرت في ظرف خاص، كما كان شاهدًا على ما هو معروف عن اهتمامات الملك في الرياضة عمومًا.

الرابعة عشرة شهادة لأول رئيس الجامعة الأردنية كتبها ونشرت في كتاب آخر، لكن رأينا أن لها قيمة خاصة، فقد كتبها صاحبها بنفسه مقدمًا فيها نصًا فريدًا.

والشهادة الخامسة عشرة والأخيرة وردت من مواطن أردني مقيم في السعودية سبق وهو فتى أن عاش تجربة سريعة لافتة في العلاقة مع الملك حسين عندما كان الفتى مشتركا بمعسكرات الحسين للعمل عام 1963م.

زيد حمزة

عن أخلاقيات الملك

فيما يلي قصة خاصة لعلاقة أسرة أردنية مع الملك حسين. في القصة مفارقات وتعقيدات كثيرة، لكنها تحمل إشارات مهمة حول شخصية الملك وأسلوبه.

السطور التالي هي حصيلة أربع مقابلات مطولة مع الدكتور زيد حمزة الطبيب المختص والكاتب ووزير الصحة الأسبق خلال الفترة (1984-1988). وهو من مواليد عام 1932م، وهو الابن الأكبر بين خمسة إخوة سيكون لثلاثة منهم حضور كبير في قصة الأسرة تلك، أولهم زياد الطيار ومرافق الملك المقرّب منه كثيرًا، والذي فُقدت طائرته في وسط أوروبا نهاية عام 1956 وانقطعت أخباره لستة شهور إلى أن عُثر على جثته في جبال الأناضول بعد ذوبان الثلوج، والثاني هو سهل، الطيار الحربي وقائد سلاح الجو الذي كُلف عام 1961 بقصف القوات المصرية التي كانت تقاتل في اليمن، لكنه فر بطائرته ولجأ إلى القاهرة ليلتحق بسلاح الجو المصري في فترة العلاقات المتوترة مع مصر، والثالث هو زيد، الطبيب ووزير الصحة 1984- 1988 الذي استقال من الوزارة بعد معركة حول سياسة القطاع الصحي، أغضبت الملك.

يقول الدكتور زيد حمزة:

أول مرة التقيت الملك حُسين كانت في القاهرة عام 1956، كنت قد تخرجتُ للتّو من كلية الطب في جامعة القاهرة، جاء الملك في زيارة رسمية ومعه شقيقي زياد الذي كان مرافقه العسكري، وذهبت إلى

المطار مع المستقبلين، بعد أن أخبرني شقيقي بموعد الزيارة. لم تكن الأمور معقدة حينها، كان الرئيس جمال عبدالناصر ومعه عبدالحكيم عامر في الاستقبال. تضمن برنامج الزيارة حضور حفل غنائي لأم كلثوم على شرف الملك، في نادي الضباط في الزمالك، فدعاني أخي للحضور. جلس أخي بجانب الملك في الصف الأول، وكنت في الصف الثاني وبجانبي أحمد اللوزي.

كنت قد تخرجت للتو من كلية الطب، وقد أعجبت بالملك في تلك الجلسة، فهو صديق أخي! وكان مبتسمًا طوال الوقت ويدخن بشراهة. واقتصر ذلك اليوم على المصافحة وتبادل النظرات والابتسامات.

في آخر تلك السنة، كنت عدت لعمان للعمل طبيبًا في وزارة الصحة. حصل حادث مأساوي مع أخي زياد، كان في رحلة بالطائرة إلى أوروبا، غابت الطائرة وانقطعت الصلة معها، وبقينا ستة أشهر نبحث عنه. في تلك الفترة بدأتْ علاقة مباشرة لنا مع الملك، الذي كان مهتمًا كثيرًا بالبحث عن مصير أخي. وجاءنا من يقول إنه ربما وقع في إحدى الدول الشيوعية التي لم تكن للأردن معها علاقات ديبلوماسية، فاستأذنّا الملك أن نسأل سفارات تلك الدول في دمشق، فوافق فورًا.

كان الملك يقول لنا إنه حاضر لتلبية ما نريد كي نعثر على أية أخبار عن الطيار والطائرة، وبعد ستة شهور، وعندما ذابت الثلوج عثر على جثمان أخي واثنين من المرافقين في جبال الأناضول، وذهبَت لجنة عسكرية برئاسة عمي الذي كان مديرًا في الاستخبارات، وأحضر الجثمان إلى عمان، وجرت لأخي جنازة عسكرية بحضور مندوب عن الملك، ثم استقبلَنا الملكُ في القصر.

كان الأخ الثاني، سهل حمزة، طيارًا حربيًا في سلاح الجو، وعندما جرت عملية تعريب قيادة هذا السلاح عام 1962 اختار الملك أخي سهلًا ليكون قائدًا له بعد أن منحه ترفيعًا استثنائيًا، وفرحنا لهذا الاختيار لأن سلاح الجو كان أقرب أسلحة الجيش للملك.

في تلك الفترة نشأت أزمة اليمن، وحصل اختلاف كبير في الموقف بين الأردن ومصر، ووصل الاختلاف إلى الميدان العسكري، وكلف أخي بقيادة طائرة بهدف قصف القوات المصرية في البحر الأحمر، حاول أخي إيجاد أعذار لعدم تنفيذ الهجوم، وعرَض الصعوبات التي تواجه المهمة، لكن الإنجليز كانوا حاضرين بقوة في عملية اتخاذ ذلك القرار، فما كان من أخي إلا أن قاد طائرته واتجه بها إلى مصر طالبًا اللجوء إليها ومعه الخطط الهجومية. كان ذلك حدثًا صادمًا على مستوى البلد ككل.

اعتُقِلْنا أنا وشقيقاي، ربيع وحازم. كان حازم عضوًا في الحزب الشيوعي الأردني. كما اُتهمت أنا بالانتساب للحزب الشيوعي.

وبعد تدخلات أفرج عنا، ولكن المضايقات استمرت، فطلبنا مقابلة الملك، ورُتّب لنا لقاء شرحنا له المضايقات التي نتعرض لها، فأمر بوقفها فورًا.

حُكم على شقيقي سهل بالإعدام. وكان في القاهرة قد رفض صفة اللجوء السياسي، رغم ما أبلغه لاجئون سياسيون سابقون بإغراءات صفة اللجوء، وطلب أن يلتحق كطيار مقاتل في سلاح الجو المصري، ووافق عبد الناصر على ذلك بعد مقابلته.

في عام 1964، وفي إحدى زيارات المصالحة بين الملك حسين وعبد الناصر، رُتب لقاء لشقيقي سهل مع الملك، الذي أصدر عنه عفوًا خاصًا، ولكن أخي سهل لم يزر الأردن إلا عام 1968، وقد أجرينا له استقبالًا حاشدًا في قاعة مجمع النقابات المهنية، وحضر الحفل بلباسه العسكري المصري، ثم عاد إلى عمله في سلاح الجو المصري.

في عام 1974 بدأنا مساع لعودته النهائية، وتدخل رئيس الوزراء زيد الرفاعي لدى الملك الذي وافق على عودته، وعاد فعلًا في تلك السنة، بعد أن قدم استقالته من الجيش المصري.

استقبله الملك في لقاء ودي، ولم يوجه له لومًا أو سؤالًا عن الماضي، بل طلب من رئيس الوزراء أن يرتب له عملًا، وقد كان حينها في التاسعة والثلاثين من عمره، فعُين مستشارًا في وزارة النقل ثم مديرًا لسكة حديد العقبة، وكان تكليفه بالعمل أمرًا جديًا وليس شكليًا، إذ كانت تتوفر لديه خبرة إدارية مناسبة. ولكن عمومًا لم يُطلب أخي سهل للتحقيق أو السؤال من قبل أي جهاز أمني، بعد عودته من مصر، رغم أن العلاقة الأردنية مع الرئيس السادات كانت سيئة في تلك الفترة. لقد كان موقف الملك من أخي أخلاقيًا، فلم يتعرض إلى أية مساءلة.

في السنوات اللاحقة، حصلت لقاءات عابرة لـ(زيد) مع الملك في مناسبات اجتماعية، إلى أن تشكلت حكومة زيد الرفاعي الثانية عام 1984، وعُيّنت فيها وزيرًا للصحة. وبعد التشكيل بأسبوعين توفي والدي، فأرسل الملك مندوبًا للتعزية، غير أنني فوجئت بعدها في أول لقاء وكنا في العقبة في وداع رسمي، وبينما كان الملك يصافح الوزراء المصطفين، وعندما وصل عندي عانقني وتوقف قليلًا ليعزيني، وكان ذلك مفاجأة لي، أي أن يتذكر الملك مثل هذا الحدث الشخصي.

لكن فرصة الالتقاء الأكبر والأكثر حرارة كانت في لندن، فقد سافر الملك لإجراء عملية جراحية في أذنه، وقد كلفني رئيس الوزراء بمرافقة الملك هناك لأسبوعين، ذلك أن الطبيب المعالج هو ذاته أستاذي في كلية الطب عندما تخصصت في لندن. تعرفت أكثر على شخصية الملك، وكان يقول لي "نحن أهل" ويتذكر أخي زياد (مرافقه الذي توفي في حادث وسط أوروبا) ولكنه أبدًا لم يأت على ذكر قصة أخي سهل بأية صورة.

في تلك الأثناء كان القطاع الصحي يشهد خلافًا على السياسات، فقد طرحت فكرة "المؤسسة الطبية العلاجية" التي لم أرها فكرة تنموية في هذا القطاع، لأنها تجرد وزارة الصحة من مسؤولياتها، كما أنها مكلفة ماليًا. لقد أثرت تلك القصة على الود بيني وبين الملك، بعد أن استطاع أنصار الفكرة أن يقنعوه بها، ولكني واصلت معارضتها إلى أن أعلنت ذلك في مؤتمر علني دولي عقد في عمان، وهو ما تسبب بغضب الملك، كما أبلغني رئيس الوزراء. وبعدها بأيام التقيتُ الملك في لقاء جماعي، وكان يريد أن يستفسر عن أمر ما وخاطبني "كيف معالي الأخ" وأجبته على استفساره. ولكن بالنتيجة طلب مني أن أقدم استقالتي، فاستقلت، وواصلت معركتي ضد المؤسسة الطبية العلاجية.

وفيما يلي من سنوات، التقيتُ الملك عدة مرات في مناسبات اجتماعية متنوعة أعادت بعض الود الذي انقطع لبعض الوقت.

هاني الخصاونة

الملك حسين يحب الأردنيين ويعرف انهم يحبونه

محام ووزير سابق، من مواليد عام 1938 في قرية إيدون/ محافظة إربد. انتمىً في شبابه لحزب البعث العربي الاشتراكي، واعتقل لثلاثة شهور في سجن الجفر بعد المظاهرات التي انطلقت ضد حلف بغداد نهاية عام 1955، وأفرج عنه بعد قرار طرد الجنرال كلوب في مطلع آذار 1956م. درس في بغداد، ثم غادرها مع طلاب آخرين بعد ثورة تموز 1958 وأكمل دراسته في القاهرة، وعاد وعمل في وظيفة إدارية، وفي عام 1965 التحق بوزارة الخارجية.

يقول الخصاونة:

تعرفت على الملك حُسين لأول مرة في وزارة الخارجية عندما جاءنا في زيارة، تعرفت عليه. كان هناك قسم من التحقيق معي من المخابرات، اشتكيت إليه لأن التحقيق الأمني معي كان لا يزال متواصلًا، وقلت له نحن انتسبنا للأحزاب لا لرغبتنا في الإساءة لبلدنا، وإنما لحبنا لها، فوعدني بإيقاف التحقيق.

التحقت بسفارتنا في أنقرة، وقد زار الملك تركيا مرتين في تلك الفترة، وعندما انتقلت إلى نيويوك مع البعثة الأردنية إلى الأمم المتحدة، حضر الملك إلى هناك، بعد عدوان حزيران 1967، وقد التقيته مرارًا.

عدت إلى عمان عام 1969، بعد أن قدمت استقالتي إثر خلاف على الموقف السياسي مع رئيس البعثة الأردنية في الأمم المتحدة آنذاك، والتحقت بالعمل في تشريفات الديوان الملكي. كان الملك يحضر متأخرًا في الصباح، يذهب أولًا إلى غرفة رئيس الديوان ليعرف المواعيد

والأخبار. كان يطلع مباشرة على ما يريد، ولم يكن يحب الورق كثيرًا.

في أحداث أيلول 1970، أمضيت مع الملك 41 يومًا في قصر الحُمّر غرب عمان. أذكر يوم 16 أيلول من ذلك العام، توجهت من بيتي في أم أذينة إلى الحُمّر، ووجدت ناقلات الجنود عند الدوار السادس عند فندق كراون بلازا حاليًا، كنت مدركا لحجم الغضب الشعبي أردنيًا وفلسطينيًا على الخلل الأمني وعن رفض الناس لحالة الفوضى السائدة، ليس انحيازًا لهذا الطرف أو ذاك، وإنما رفض للفوضى وومراعاة لقلق الناس على حياتهم وأولادهم ومدارسهم، وعلى تعطل الحياة العامة في البلد. انتشر الغضب بشكل خاص في أوساط ضباط وأفراد الجيش والأمن، لعدم تمكنهم لزيارة أهاليهم في الإجازات. كان الملك منزعجًا من فكرة الدماء ليس خوفًا، لا سمح الله، لكنه كان لا يريد الدماء ولا يريد الشرخ في المجتمع. لقد ضغط الضباط لحسم الموقف بسبب تردي الأوضاع الأمنية. أستطيع أن أقول بأن الملك لم يكن راغبًا في الصدام.

كنا في الحُمّر في ذلك الوقت أقل من 15 رجلًا: الملك حسين رحمه الله والأمير حسن وأحمد الطراونة وأحمد طوقان ومازن العجلوني وزيد الرفاعي ووصفي التل كان وهاني خليفة ومريود التل وراضي العبدالله.. وكان نذير رشيد وأحمد عبيدات وطارق علاء الدين يترددون على المقر ولكنهم كانوا يتحركون خارجه. القصر عبارة عن بيت صغير، كنا نمضي معظم وقتنا في طابق التسوية، وهو ساحة كبيرة، وننام فيها. بينما جلالة الملك في غرفة نومه، لم يكن الجو الداخلي متوترًا كثيرًا، أذكر أنه سقطت على القصر بعض القذائف، لكن من دون حدوث إصابات. كان الملك يتنقل من الطابق الذي يعلو مكتبه إلى طابق التسوية. كان أكثرنا صلة به هو زيد الرفاعي، وفي المساء كان يأتي حابس المجالي

فيضفي بشخصيته اللطيفة جوًا محببًا وهادئًا. كان وصفي التل موجودًا رغم أنه لم تكن له صفة رسمية، لكنه كان فعّالًا والكل ينظر له باحترام، وخاصة لأنه كان صاحب موقف مبدئي مختلف عن الآخرين، كان مؤمنًا بالمقاومة، ويؤمن بأن تحرير فلسطين لا يتم إلا بالمقاومة ويؤمن بضرورة تحشيد والتنسيق والتحشيد بين الدول العربية ومنها الجيش الأردني والمقاومة.

أعضاء قيادة الجيش كانوا يداومون في مقر القيادة بالعبدلي، بمن فيهم حابس المجالي وزيد بن شاكر ومحمد خليل عبدالدايم، وعندما تولي حابس المجالي القيادة أعطى المزيد من الثقة بسبب نزاهته. كانت البيانات تذاع باسمه. تنبع قوته الرئيسية من نزاهته، وكان وطنيًا مؤمنًا بالأردن ومحافظًا على تراث والده رفيفان المجالي، وكان يردد دائمًا عبارة: «الفلوس والناموس لا يجتمعان».

كنا ننام على الأرض، على طراريح (فرشات اسفنجية رقيقة)، كنا بين الموت والحياة، كان مستوى الثقة بالغًا، أتذكر أنه في إحدى المرات كان الملك حسين على التلفون مع أحد الضباط من قادة الفرق في الشمال الذي كان يبدي ترددًا بمواجهة تدخل الجيش السوري، تكلم الملك مع المرحوم العميد عطالله غاصب (السرحان) الذي أبلغه أن قائدهم بهجت المحيسن، غادر إلى الطفيلة، كان العميد عطالله غاصب جريحًا ولكنه أعلن للملك أنه جاهز للدفاع عن بلده، فقاد المعركة هو والعميد طلال عبيدات والعميد مأمون خليل.

العلاقة مع محيط القصر محدودة. حصل تواصل مع العجارمة، جماعة مفلح العجارمة، الذي كان عضوًا في الحكومة العسكرية، كانوا يرسلوا الطعام، وخاصة خبز الشراك. غير أن وضع التموين بالنسبة لنا لم يكن كثير الصعوبة.

كان الاتصال مع الحمر مستمرًا، كان مريود التل أمين عام الديوان، من الموجودين البارزين الشجعان، غير أن كل التطورات تنتهي في مقر الملك، بما فيها عند التدخل السوري والتهديد العراقي.

وفي اليوم الرابع للأحداث، سافر أحمد الطراونة وأحمد عبيدات إلى القاهرة للاجتماع الطارئ الذي دعا إليه الرئيس المصري عبدالناصر، وفي اليوم التالي التحقنا بهم. ذهبنا بالطائرة من الحمر إلى الاجفور (الرويشد)، ومن هناك بطائرة كبيرة نقلتنا إلى القاهرة.

وصلنا إلى القاهرة فندق الهلتون. كان عبدالناصر قد تفهم الموقف الأردني وكان شاعرًا بخطورة استمرار الصراع ومتفهمًا لوجهة النظر الأردنية، بينما كان الرئيس السوداني النميري والليبي معمر القذافي، وخاصة النميري، في غاية السلبية تجاه الأردن. كانوا ممتنعين عن النزول إلى القاعة التي يلتئم فيها مؤتمر القمة التي قررت تشكيل لجنة عربية للذهاب إلى الأردن وإجراء المصالحة وإيقاف القتال بين الجيش والفدائيين. ولا زلت أتذكر لغاية الآن الرئيس عبدالناصر وهو نازل من الطوابق العليا مصطحبًا معه النميري والقذافي في يديه اليمين والشمال، وجلسوا للتوقيع، كان سعد العبدالله الصباح قد تمكن من اصطحاب ياسر عرفات والذهاب به إلى القاهرة. كان الملك متألمًا ولكنه كان مدركًا بحكم موقعه وخبرته لخطورة الأوضاع.

أما الوضع العام على مدى العشرة أيام التي كانت الحرب مشتعلة. كنا في فم الموت، لا أحد يدري هل يستمر السوريون في الاندفاع تجاه الأردن.

ويوم توفي عبدالناصر، كنا في عمان، في الحمر، في طابق التسوية، كان زيد ووصفي؛ لأنه كان الملك عامل عشا للوفد العربي برئاسة الباهي الأدغم رئيس اللجنة العربية. أنا أتحرك بين فوق وتحت، ولكن وصفي وزيد ما لم يكونوا يتحركوا خوف ما يثبت عليهم أنهم يُحركون الأحداث؛ لأنه إذاعات الفدائيين تقول أنهم يحركون الأحداث وكان معهم أحمد طوقان.

في القاهرة في مؤتمر القمة الشهير بخصوص الأحداث، كان عبد الناصر قد أخذ موقفًا مشرفًا مع الأردن؛ دخل على الاجتماع وبيده النميري والقذافي، كانا قد رفضا لقاء الملك، فأدخلهم عبد الناصر للاجتماع. كان مرهقًا ووجهه متعب، ركبنا بالطائرة، كان معنا راضي العبدالله وهو قريبي من بلدة النعيمة، الملك يقود الطيارة بنفسه للاجفور (الرويشد حاليًا) ومن الاجفور لعمان، قلت لراضي العبدالله: يا أبو رياض ياعمي، عندي إحساس إنه ناصر بده يتوفى. قال: ليش؟ قلت له: هو متعب ولكن احنا العرب ما إلنا حظ لما قائد ينضج".

في اليوم التالي لعودتنا إلى مقرنا، في المساء، رن جرس تلفون، تلقى زيد الرفاعي التلفون وفي ذهول قال: مش معقول! ثم توجه لنا وقال: ناصر توفي.

كان الملك مع ضيوفه على مائدة العشاء، ومعه الأمير حسن وراضي العبدالله وأحمد الطراونة ومن الضيوف العرب؛ الباهي الأدغم والطيب السحباني. تساءلنا: مين بده يحكي للملك؟ قالوا: هاني. طلعت وفتحت الباب، ناديت أبو هشام (أحمد الطراونة)، جاءني وقال: ويش؟ قلت له ناصر توفي، قال مرة ثانية: ويش؟ انتبه راضي العبدالله، صار يكرر: هاني قلي.. هاني قلّي»، سأله سيدنا: شو مالك؟

عمرني ما شفت الملك بحالة اكتئاب وانزعاج مثل تلك اللحظة، دخل إلى مكتبه منفردًا.

بعدها اختارني الملك سفيرًا في سورية، وكنت على تواصل مع دائم مع الملك. ثم تطورت علاقتي مع الملك عندما عينت سفيرًا في موسكو إذا زارنا خمس مرات، وقبلها سفيرًا في رومانيا.

أذكر من أخلاقيات الملك الحسين، عندما كنت في السفارة في القاهرة بوظيفة "سكرتير ثاني"، كان علي أبو نوار لاجئًا سياسيًا هناك، وأراد أن يصالح الملك، فكلفنا بهذه المهمة، أنا والمرحوم عاطف المجالي الذي كان عمله في القيادة العسكرية المشتركة في القاهرة، حدثت الملك بذلك، فحدد موعدًا دون علم مستشاريه، بمن فيهم رئيس الديوان الملكي حسين بن ناصر، فجاء علي أبو نوار، والملك الحسين يفتح ذراعية مرحبًا بعلي أبو نوار. وقد غضب المرحوم حسين بن ناصر من هذا اللقاء. كانت طبيعة الملك سمحة وهو ويأسرك بلطفه.

في زمن لاحق، زعل مني عندما دافعت عن أحمد الدقامسة (جندي أردني هاجم اسرائيليين في نقطة حدودية وقتل 6 بنات)، لكني كنت أبررها بأنني محام وواجبي الدفاع عن أي مواطن. وكنت قبلها قد رفضت حضور حفل توقيع المعاهدة في وادي عربة. ثم حصلت حادثة أحمد الدقامسة.

أثناء عملي سفيرًا للأردن في موسكو، اشتكى الأمريكان عليّ لدى الملك حسين ثلاث مرات، قالوا له إن السفير الأردني في موسكو، يوسع من أعداد الطلاب الذين يدرسون هناك وهذا أمر برأيهم ليس في صالح الأردن، وكنت أطَمْئِن الملك. وفي آخر مرة عندما ذكر الشكوى ذاتها،

قال إن الأمريكان يخشون من تجنيد طلاب أردنيين في الأجهزة الأمنية السوفياتية. أكدت للملك أن المناخ الموجود لا يساعد، فقد كانت القيادة السوفياتية تعاني من السن الطاعن، وكنت أحس أن الأجواء لا تساعد على التوسع والتجنيد، فهناك ركود في التطور الاجتماعي والمعيشي، وكنت أطمئن الملك بأن النظام في حالة جمود وليس فيه ما يغري الطلاب على التجنيد ثم هناك جهات تراقب.

آخر مرة رأيت فيها الملك الحسين كانت في إيدون عام 1997، كان مدعوًا إلى بيت الدكتور عون الخصاونة، وهو قريبي.حضر إلى إيدون، وبعد أن سلّم علي وقبّلني، مشى خطوات ثم عاد وقال لي: «أبو محمد، في بيني وبينك عتاب". ضحك الحضور وعرفوا السبب.

الملك حسين رجل طيب، كان يحب الناس الوطنيين، كان أردنيًا وفيه من طبيعتنا الأردنية. مرة هبّوا عليه لأنه أعطى بيت لشخصية كبيرة، فقال: "يجود علينا الخيرون بمالهم ونحن بمال الخيرين نجود". كان يحب الأردنيين ويعرف أن الأردنيين يحبوه ولن يغدروا به.

سليمان القضاة

لكل بيت في الأردن قصة مع الملك

(صحفي ونقيب صحفيين ورئيس تحرير يومية "الرأي")

عندما انتخبت نقيبًا للصحفيين عام 1992، اتصل بي رئيس التشريفات في الديوان فيصل الفايز، أبلغني إنه "سيدنا بده إياك أنت والمجلس اليوم». وصلنا إلى مبنى الديوان في الوقت المحدد، قال لي المختص بالمراسم أن مدة اللقاء عشر دقائق، قلت للزملاء إن الوقت ضيق ووضع النقابة صعب، لا تأمين صحي ومبنى النقابة تعيس، وطلبت أن نكتب مطالبنا بشكل جماعي، اجتمعنا وبعد أن بارك لنا، أبلغناه بصعوبة وضع النقابة، وأن الحكومة تدعم بمبلغ 3 آلاف دينار. وطالبنا علاوة مهنة لصحفيي وكالة الأنباء، وكنت كلما أحكي يقول للشخص المعني: سَجّل. انتهى اللقاء، فسأل الملك: وين المصورين؟ ثم مشى على الدرج فتراجعت إلى الخلف، فتحرك خالد الكركي، وكان رئيسًا للديوان،وقال لي: سيدنا بده إياك وطلب مني أن أمشي بجانبه. والتقطت الصور.

في صباح اليوم التالي، اتصل رئيس الوزراء الشريف زيد بن شاكر وقال لي إن مطالبكم ستنفذ، فتقرر رفع دعم النقابة إلى 15 ألف دينار سنويًا، وتقررت علاوة المهنة لصحفيي وكالة الأنباء "بترا". وصنفت مهمة الصحافة في ديوان الخدمة، وأبلغت أن باقي الطلبات مثل التأمين الصحي ستُدعم، وفي الحالات المرضية الصعبة للزملاء فيمكن معالجتها عن طريق الديوان الملكي. وقد تعالج مرضى صحفيون عرب على حساب الديوان.

كان يحرص في أي لقاء كنقيب أن أكون موجودًا، أول مشكلة كانت عام 1993، عندما نشرت إحدى الصحف الأسبوعية خبرًا يطال القوات المسلحة الموفدة كبعثة قوات السلام في البوسنة. استدعانا الملك، وكان غاضبًا وقال:

"جيشكم كَمان (أيضًا)؟ وصلتْ للجيش؟" تكلمت بطريقة دبلوماسية دقيقة، فرد علي: «شايْفَك بْتِحْكِي مثلي، شو رأيك تقعد مَحَلّي".

يقول القضاة عن الملك عمومًا: لما يكون راضي بقول شوفولنا الغدا إذا زعلان ما فيش شاي! ثم يضيف بخصوص تلك الحادثة: "على الغدا كان الشريف قاعد بجانب الملك، قلنا يا سيدي ماذا بالنسبة لزميلنا المسجون؟ قال شو المطلوب؟ قلت: اللي بتؤمر فيه. فتوجه للشريف زيد: سامع يا سيادة ابو شاكر؟ نقيب الصحفيين بدِه إيانا نفرج عن هذا اللي كتب عالجيش! ثم واصل قائلا للشريف: "طلعوه".

استمرت العلاقة بهذه الطريقة، وأذكر في عزاء الكاتب والأديب عبدالرحيم عمر الذي كان الملك يحبه كثيرًا، وهو سابقًا كان من قادة الشيوعيين، وأرسله الملك إلى بريطانيا لعلاج عيونه، بعد عودته بمدة قصيرة توفي، وعند لقائنا في بيت العزاء، وبعد أن قال كلمات عزاء في المرحوم، قلت له: "أنا أرد الفضل إلى رب العالمين ثم لك أنت، لأنك لم تقصّر معه ومع أي أحد منا". كنا حوالي 60 صحفيًا في هذا اللقاء، وقد نزلت دموع الملك يومها.

عندما يكون زعلان على الرأي يوجه لفتة خفيفة، فيكتفي مثلًا بعبارة: "هاي بلدكم".

فترة العمل على المفاوضات وعقد اتفاقية السلام/ 1994 التقى فينا كثيرًا. كان حريصًا أن يضعنا بالصورة. في تلك اللقاءات، كان يطلق آهات ويقول جُملًا قوية ولكن بدون تفصيل، لكنه يدخل الجملة اللي بده إياها، هذا هو أسلوبه.

كان متأثرًا كثيرًا بموضوع العراق، فقد كان حريصًا على الحل العربي، كان يحكي جمل متفرقة: "يا إخوان بنفسي أخونا صدام يوجع الأميركان".. "أيهما أهم الكويت أو العراق؟".. "لميت لما واحد يوخظ قرار واحنا نركض وراه واحنا نتحمل المسؤولية؟ في 1967 وفي 1973 ودخول العراق"؟

كنا نلتقي بالأسبوع أكثر من مرة أحيانًا، كان يعطي أهمية للرأي العام المحلي على مدى الأزمة، لما بدأت المعركة بالعراق، غاب الملك عن الإعلام، فقال الناس أن الملك في العراق! وفي اجتماع بالقيادة، وكان في خوف أنّ إسرائيل ستستغل الفرصة وتدخل على العراق من الأردن ثم سوريا، رحنا على القيادة، مجموعة رؤساء التحرير، كان الملك والشريف زيد ومضر بدارن وأخذنا نتحدث، فسألته: الدعاية إنك رحت على العراق؟ فقال: صار لي اسبوع أتنقل بين الوحدات العسكرية، وحكى عن مشروع إسرائيل وأن هناك خوف من تدخلها.

في قصة خالد مشعل[1]، كالعادة طلبنا على الديوان، أنا ومحمود الكايد وعبدالوهاب زغيلات وبعض الكتّاب، أعلن بشكل صريح أن اتفاقية السلام بجهة وحياة خالد مشغل بجهة، لازم إسرائيل تزودنا بترياق السم الذي زرعته.

1- خالد مشعل رئيس المكتب السياسي لحركة حماس تعرض لاعتداء من قبل عنصرين في جهاز المخابرات الإسرائيلي «الموساد» حقناه بسم خاص، عام 1997 وألقي القبض عليهما، ونشأت أزمة في العلاقة بين الأردن وإسرائيل إلى أن استجابت الأخيرة للطلب الأردني بالحصول على ترياق السم.

كان الموقف بالنسبة لنا مربكًا، فاجتمعنا بمكتبي، هل ننشر ما قاله الملك؟ واختلفنا. كنت رئيس التحرير المسؤول، قلت لهم: سيدنا يجمع 60 صحفيًا معًا، وهو في العادة إذا لم يكن يرغب بالنشر، يشير لذلك بوضوح، وبما أنه لم يقل ذلك، فسننشر، ونشرنا.

زار "الرأي" عدة مرات، كان يحضر لكي يجتمع بالمحررين في جلسات غير رسمية، وكان يوضح: "هذا للنشر وهذا للعلم". وتوجد عندي رسالة منه لرئيس التحرير يحيي فيها الصحيفة "الرأي" ويشيد فيها بموقفها وبخطها الأردني العربي.

عام 1995، كنت نقيبًا، جاءنا عرض من منظمة الصحفيين العالمية واتحاد الصحفيين الدوليين، بأن يستضيف الأردن مؤتمرهم العام. الأردن سمعته دولية جيدة في هذا المجال، فلدينا نقابة بقانون، معظم النقابات بأنظمة خاصة، نحن ومصر وسورية وبعض الدول العربية لديها نقابات بقانون.

استضافة المؤتمر تعني حضور أعضاء من 80 دولة، وصّلنا الموضوع لجلالة الملك وحصلنا على موافقة.

جاء الأمين العام وهو صحفي فرنسي ومعه عضوان، أحدهما يمني والآخر لبناني. اجتمعوا معنا، وقالوا إنهم يرغبون لقاء جلالة الملك. اتصلت مع الديوان ورتبوا لنا موعدًا، حضرت اللقاء معهما وكان معنا فتاة للترجمة للفرنسية. عرّفت على أعضاء الوفد قلت له الإخوان جايين يبحثوا إمكانية دعم واستضافة المؤتمر، نظر الملك إلى البنت المترجمة وقال: قولي لهم باسم نقيب الصحفيين الأردنيين لهم كل الدعم وكل المتطلبات للمؤتمر تنفذ فورًا. كان ذلك مفاجئًا، أن يقدم الملك رأيه باسم نقيب الصحفيين.

لما توفى، وكانت درجة الحزن عالية، جاءني صحفي أمريكي ليسأل عن سر تلك المحبة، وقال: إذا كان ترتيب الاستقبال من الأجهزة علينا أن نرفع القبعة لها، وإذا بلا ترتيب نرفع القبعة للناس، قلت له إن كل بيت في الأردن له قصة مع الملك.

يضيف القضاة: كان عندنا في الجريدة موظف لبناني،وكان يسكن قريبًا من قصر زهران بجبل عمان، وذات يوم شاهدوا كعائلة، الملك يتمشى، رأوه ثم عزموه، فاستجاب ودخل بيتهم وشرب معهم قهوة، فعل ذلك كلمسة إنسانية.

يتذكر القضاة موقفًا وحيدًا احتد فيه الملك، وكان حول اتفاقية أوسلو، ((مرات قليلة التي يحكي فيها بشكل مباشر، بالعادة "بروح وبيجي بالكلام"، لكن هذه المرة كان محتدًا كثير، ومع ذلك مرقها وكظم غيضة)).

كان الدكتور مروان المعشر وزير إعلام، فتكلم في تصريح له عن قانون جديد للمطبوعات، احتدينا في مجلس النقابة، إذ لا يجوز للوزير أن يعلن ذلك وحده، اجتمعنا وأعلنا عن اعتصام أمام رئاسة الوزراء، فهاتفني رئيس الوزراء عبدالكريم الكباريتي، وتناقشنا بحضور المعشر. وأثناء اللقاء اتصل الملك بالرئيس لموضوع آخر، فأبلغه الرئيس بوجودنا عنده، فطلب الملك حضورنا إلى الديوان. ذهبنا هناك، تحدث الملك طويلًا وبمواضيع مختلفة من دون التطرق للخلاف مع الوزير، وفي الختام صافحنا وقال: "الدكتور مروان شب كويس ديروا بالكوا عليه". ثم يخلص القضاة: "الملك لا يمكن تحزر عليه وتعرف عليه شو اللي عنده".

أغلب أخبار الملك التي كنا ننشرها مصدرها وكالة الأنباء "بترا"، كنا نتحفظ تجاه النشر بشكل مباشر، فما تنشره بترا ننشره، لكن الديوان الملكي نفسه كان ينشر أخبارًا من جهته. القضاة أكد أن الملك أشار مرة إلى أن العائلة المالكة كبرت وكثر أفرادها، وقال لنا لا يوجد داع لأن تنشروا خبرًا كلما قام أحدهم بعمل.

مجحم الخريشة[1]

الملك حسين في عيون من عمل معه

عملت مع جلالة الحسين، رحمه الله، بشكل مباشر في التشريفات الملكية منذ عام 1971 وحتى عام 1974 وقد كنا مجموعة من الشباب نعمل في هذه الدائرة.

1. نراه عن قرب حين يحضر السفراء لتقديم أوراق اعتمادهم.
2. ونراه حين يستقبل النواب والأعيان والوزراء والسفراء والوفود الرسمية.
3. ونراه حين تأتي الوفود الشعبية من المحافظات وأبناء العشائر الذين يلتقي بهم رحمه الله وبشكل دائم.

ورأينا ولاحظنا بأم العين:

1. أن الحسين رحمه الله يتعامل مع الجميع بمنطق الأب أو الأخ ورجل الدولة، حيث كان إنساناً بالدرجة الأولى، يجامل ويساير الجميع وحسب مواقع هؤلاء الناس.
2. كنت قد استلمت رئيس تشريفات بالوكالة ليوم واحد، حيث كان رئيس التشريفات خارج البلاد ونائبه الأول لم يدوام في ذلك اليوم، وكان ترتيبي الثالث في سلم التشريفات، وعندما حضر جلالته طلبوا مني أن أجلس في مكتب رئيس التشريفات، وكان من عادته، رحمه الله، أن لا يخبر رجال الديوان الملكي بحضوره، ووجدت نفسي رئيسًا للتشريفات الملكية.

1- هذه الشهادة كتبها خصيصًا لهذا السيد مجحم الخريشة بنفسه وبخط يده وقد فضلنا أن نعرضها كما هي تمامًا من دون أي تعديل أو تحرير.

وفجأة واذ بالمقسم يقولون إن فلان باشا يريد التحدث مع جلالة سيدنا، وكانت أية مكالمة لجلالته تمر عبر رئيس التشريفات الملكية، وكنت أعرف الباشا جيدًا وكان صديقًا لإخواني، وقد أخرج من مجلس الأعيان في عهد حكومة جديدة، فناشدني بوالدي وأهلي، فما كان مني إلا أن استأذنت بالدخول على جلالته، فسألني: ماذا هناك؟ فقلت له يا سيدي إن فلان باشا يصر على التحدث إليك، وشعرت بأنه يعرف ما سيقوله لأنه كان يعرفه تمامًا، فنظر إلي مبتسمًا بعد فترة تفكير قليلة،وقال: "فليكن دعهم يحوّلون المكالمة"، فعدت وقلت للمقسم حوّلوا المكالمة لجلالة سيدنا، واستمرت المكالمة أكثر من 7 دقائق كان جلالة الملك مستقبلًا لشتائم هذا الباشا على الحكومة التي أخرجته من مجلس الأعيان.

عندها علمت بأني أخطأت، لكنه لم يسألني ولم يعاتبني، وكل ما في الأمر أنه خرج من مكتبه غاضبًا واتجه نحو مكتب رئيس الديوان.

ج- في إحدى اللقاءات العشائرية، كان هناك أحد الأشخاص المعروف لدينا ولدى جلالة سيدنا، وهو من الشخصيات الهامشية بالمنطق العشائري، لكنه يستغل أي ظرف ويحضر مع الشيوخ. وبعد الغداء وقف جلالته للسلام عليهم وهو من بينهم، فسلم أول مرة وعاد وسلم مرة أخرى، وفي الثالثة كان الأخير، فقال له جلالته: لقد سلمت عليك أكثر من مرة. فقال صحيح، ولكني بحاجة أن أطلب منك شيئًا، فقال له: تفضل. فقال: أرجوك وحدنا. فقال له: ليس هناك أحد إلا رجال الديوان. وفعلًا لم يكن هناك إلا نحن، كتشريفات، ورئيس الديوان ورئيس الحكومة.

فأخذه إلى طرف القاعة "السفرة"، فقال له: تفضل. فقال: يا سيدي أنا تزوجت منذ أربع سنوات، ولم يأتيني أولاد (وكنا نسمع الحديث كله، وحاولنا قبل ذلك أن نأخذه إلى الخارج ليذهب، ولكنه رحمه الله منعنا من ذلك).

لم أرَ الملك حسين حيرانًا ولا يعرف ما يجيب هذا الشخص كما رأيته وقتها، وكان لزومًا علينا أن نطلب منه مغادرة القاعة، وبدأ جلالته بالضحك؛ لأنه تفاجأ من هكذا منطق ومن هذا المطلب. وعلمنا فيما بعد أنه كان يريد أن يُعالج حتى يأتيه أولاد، مع العلم أن لديه العديد من الأولاد والبنات من زوجات سابقات.

د- كان يلاطف السفراء الذين يقدمون أوراق اعتمادهم، وعندما يرى أحد السفراء مرتبكا إلى حد لا يستطيع الحديث، يرفع الكلفة معه ويجعله يجلس ويجلس بجانبه ويتحدث معه إلى أن يطمئن ويرتاح. وكان يحضر مع جلالته في مكتبه عند تقديم السفير أوراق اعتماده عادة، رئيسُ الديوان ووزيرُ الخارجية ورئيس التشريفات الملكية، وكنا نعلم منهم الكثير من هذه المواقف.

ه- انتقلت إلى مكتب سمو الأمير الحسن ـرعاه اللهـ، وبدأنا بناء على أوامره أن نرتب جولات إلى المحافظات والمخيمات والعشائر، وبعد فترة لا بأس بها أخبرني أحد الضباط من الحرس الملكي، بأن هناك من يقول لجلالة سيدنا بأن مجحم الخريشة يعمل لمكتب الأمير الحسن، وعلى حساب الديوان الملكي. فاستغربت المقولة، وتأكدت منها، وكان لزامًا علي أن أوضح الصورة، فطلبت من الأخ ينال حكمت رئيس التشريفات أن أقابل سيدنا. وبعد ساعتين لا أكثر وإذا بهم ينادونني لأحضر، وقالوا: سيدنا يريد أن يراك، فدخلت وسلّمت عليه وابتسم لي،

وترك مكتبه وجلس إلى جانبي، وقال: آه يا مجحم، شو في عندك؟ فقلت: يا سيدي نحن جزء من ديوانك العامر ونعمل بأمر من سيدي حسن. إننا نعمل كموظفين في ديوان جلالة سيدنا وما فيه خدمة الناس والمحافظات، وكل الطلبات ترسل إلى رئيس الديوان الملكي، فابتسم ـرحمه اللهـ وطمأنني وشكرني، فاستأذنت وخرجت. كنت في الدرجة الثالثة أو الثانية، موظف بسيط، فلا يجلس على مكتبه بل يجلس إلى جانبي ويطمئنني. منتهى الحكمة والإنسانية التي كان يتمتع بها رحمه الله.

و- في إحدى زياراته إلى الخارج، وكنا في المقصورة الملكية في مطار الملكة علياء الدولي، وقد حضر متأخرًا، وكان رئيس الحكومة مضر باشا بدران، وهناك العديد من الوزراء، وكان سمو الأمير حسن يريد أن يقسم اليمين الدستورية كنائب للملك، ولما وصل جلالته أعطى رئيس التشريفات نص القسم إلى سمو الأمير الحسن، فما كان من دولة رئيس الحكومة مضر بدران إلا أن قال: "جلالة سيدنا، أقسم بالله إذا تم القسم بهذه الصورة وبهذا المكان، فلن أتعامل مع الأمير الحسن كنائب للملك". فنظر جلالته إلى مضر باشا وأدرك المعنى. فقال له: معك حق يا أبو عماد، وتحرك فورًا إلى القاعة الخاصة، ودخل مع جلالته فقط سمو ولي العهد ورئيس الوزراء وبعض الوزراء الموجودين في ذلك اليوم، وتم إغلاق الباب وتم الأمر حسب الدستور الذي ينص: "يقسم نائب الملك اليمين الدستورية أمام هيئة الوزارة".

أدرك جلالته ما أراده رئيس الوزراء، أي النص الدستوري، لم يجادله ولم يعارضه،لأنه يعرف تمامًا معنى النصوص الدستورية.

وأخيرًا، كنا في الحكومة الأخيرة في عهده وعند وفاته رحمه الله. كنا نودع الرجل الرمز والعظيم الذي عشنا معه وبكنفه والذي بنى الأردن

الحديث في كل المجالات، مستشفيات، طرقات، جامعات، بنية تحتية، والأهم بناء الإنسان الأردني على الاحترام والكرامة والإنسانية الذي هو رمزها رحمه الله.

أدركنا ونحن نستقبل في المطار زعماء العالم ليشاركوا في جنازته التي كانت بحق "جنازة العصر"، أننا ودّعنا الإنسان والأب والرمز الذي لم يعرف الأردنيون غيره على مدى أكثر من 40 عامًا.

بسام الساكت

يوم الملك يبدأ بالاطمئنان على الأذنة والمراسلين والحراس

(وزير سابق ومدير عام سابق للديوان الملكي)

كتب الدكتور بسام الساكت سيرته الذاتية ونشرها في مجلدين، بعنوان: "بيت من البلقاء.. مسيرة ووفاء". وقد أورد بعض تفاصيل ويوميات العمل مع الملك في الديوان الملكي[1].

يقول الساكت: "لقد كان الديوان الملكي وما زال المرجع الأخير عند الأردنيين، والأول عند بعضهم، حين تلم كارثة أو حاجة شخصية، فالبعض من أبناء العشائر الأردنية يلجأ لجلالة الملك طالبًا الموقع أو النصرة وحل الخلاف أو الدعم الشخصي المالي والمعنوي. وكانت هناك ترتيبات خاصة يعتني بها مستشار شؤون العشائر الشيخ برنس الزبن رحمه الله... "كنت أرسل للمجموعة (زوار الديوان) إن كانت على باب القصر، باصًا صغيرًا من كتيبة الحراسات الملكية لإحضارهم من بوابة القصر في شارع وادي الحدادة إلى قاعة جانبية وأتحدث إليهم وأستمع إليهم وإلى مطالبهم. وكم كانت الأحاديث ثرية بالنصح والإرشاد وكشف صور عن الأوضاع العامة، وكانت كذلك المطالب حاجات أساسية بسيطة كإيصال ماسورة ماء، أو فتح عيادة طوارئ، أو زيارة طبيب متخصص لهم في أيام الأسبوع أو تعيين بعضهم أفرادًا في القوت المسلحة.. الخ، أو نقص الدواء في العيادات الموجودة في مناطقهم، وكانت تلبى فورًا بعد أن أنقلها إلى رئيس الديوان ومنه أحيانًا إلى جلالة الملك. ويعود هؤلاء إلى أهلهم بعدها يتحدثون عن زيارة القصر

1- د. بسام خليل الساكت. بيت من البلقاء.. مسيرة ووفاء، دار ورد الأردنية للنشر والتوزيع. الطبعة الثانية 2017. جميع الاقتباسات الواردة هنا من الصفحات 436-498 .

وعن الاحترام واحترام حضورهم والاستماع إليهم. وتأكد لدي أكثر من ذي قبل أن التواصل مع الناس جماعات وأفراد، أهم أحيانًا من تلبية جميع مطالبهم، الناس تريد أن يسمع صوتها وأن تشارك في الحياة والنصيحة والمسؤولية العامة".

يقول الساكت عن عمله إن 5-6 أشخاص يستقبلون الملك عند قدومه إلى عمله في الديوان. "وحال وصوله ينشغل أولًا بالسلام والسؤال عن الأذنة والمراسلين أو الجندي الحارس أمام المدخل، ويسألهم عن أهلهم وعيالهم وأحوالهم، ويتركنا لدقائق ننتظر السلام عليه" .

«لكن ابتسامته كانت في بعض الظروف وراءها قرار حاسم كما لمسته حين غير أحد الوزراء وغضب من قلة إنجازه وإهماله في شؤون وزارته».

« كان جلالة المرحوم الملك حسين لاعبًا ماهرًا في السياسة والاجتماع، يحرك الحجارة السياسية (الأشخاص) كما يريد، ويسيرهم في فلكه أو يبعدهم عنه فحصًا واختبارًا لهم. فتجده يومًا يجمع على طاولة الغداء الصغيرة المستديرة في قصر الندوة رئيس الديوان مع أحد المستشارين كعدنان أبو عودة، ومرات أخرى يستثني المستشار عدنان، ويحضر على المائدة معه عامر باشا خماش، مع رئيس الديوان، وأحيانًا أخرى يجمعهم كلهم مع رئيس الوزراء أو يجتمع مع رئيس الوزراء، وبالذات كان الأوفر حظا السيد زيد الرفاعي. وأحيانًا يجمع خلطات متلائمة مع ما يرغب في تحقيقه من سياسات تجاه بطانته. لذا ترى الجميع كالفراش يحومون حول الضوء- ضور جلالته ورضاه. ولكم كان مثيرًا للابتسامات أحيانًا أن ترى تصرفات الموظفين في الديوان وعباراتهم وحركاتهم تتكيف مع كل شخص مسؤول وفق قربه للملك، أو وفق غضب أو رضى الملك عنه. فترى فجأة الابتعاد والتنحي أو التقرب

إلى، والبعد عن مسؤول من قبل صغار الموظفين، إن شعروا أن الملك قد غير اللّحن نحوه إيجابًا أو سلبًا. إنها حالة كانت تضحك وتحزن أحيانًا أخرى" .

يسلم على الحرس والخدم ويسألهم عن أحوالهم وأهلهم، ثم يلتفت إلى المسؤولين منا للسلام علينا ثانيًا. واعتاد أن يزور الكراجات الملكية في الديوان الملكي حيث مكتب مدير الكراجات السيد عبدالمنعم بكر الجريري أبو فائز.. كما كان يجلس مع الجنود من الحرس الخاص وفي الكراجات الملكية، يطلب مشاركتهم والتغميس معهم في أكلة قلاية البندورة مع الفلفل الحار. وكم كان ذلك نافعًا لكلا الجانبين الحاكم والرعية.

«ومن طبع جلالته أن يقدم تقدمات نقدية لموظفي الديوان الملكي تدفع مع رواتبهم قبل العيد، ولقد وصلني من تلك التقدمات ثلاثة آلاف دينار، مرة واحدة، طوال فترة خدمتي.. هناك من الأشخاص يطلبون شخصيًا أو كتابيًا من جلالة الملك العون النقدي الشهري والموسمي، وينالون مطلبهم مكرمة من كريم".

يورد الساكت واحدة من الحكايا الشهيرة عن الملك، لكنه يقول إنه كان شاهدًا عليها، فيقول:

شؤون قصر الندوة يديرها دومًا شخص مهني، أجنبي صارم مع العاملين في القصر، وكان الموظفون يخشونه: "من عادة جلالة الملك أن يشرب قبل مغادرته القصر، كأس ماء عادي ودون أي مواد غازية مضافة، وعادة الملك هذه كانت منقولة حرفيًا وبصرامة من المدير الإنجليزي إلى السفرجية، وكان أحدهم من الشوبك، قصير القامة لكنه يخدم بأمانة جلالة الملك في القصر منذ سنين. وحضر السفرجي وعلى صينية فضية

كأس ماء قدمه تنفيذًا لعادة جلالة الملك قبل مغادرته القصر. فشرب منها رشفة وتوقف عن الشرب، وأدرك السفرجي حينئذ بأنه أخطأ في تقديم نوعية الماء، فقدم "بيريه" (ماء غازية) بدلًا من الماء العادي، ونظر فورًا إلى وجه جلالة الملك وأجابه بهدوء أعصاب: "سيدي اشرب الماء زي ما أنا بقلك" وتبادل النظرات معه، فتابع السفرجي قوله دون أن ينتظر لكي يوجه له الملك سؤالًا لماذا؟ وقال يا سيدي اشرب، لأن الشخص الأجنبي الملعون اللي واقف وراك، إذا لم تشرب الكأس سيطردني برّه فورًا فقد قدمت خطأ لك «بيريه» وليس ماءً عاديًا. وأدرك الملك بفراسته ولطفه حرج السفرجي المخلص وأكمل جلالته شرب الماء حتى النهاية مع ابتسامة حفظت للسفرجي ماء وجهه ووظيفته. وحين حدثنا جلالة الملك بعد غياب السفرجي من الساحة، غطت علينا ضحكات موازية لتلك التي أضحكت جلالة الملك بصوت عال".

«لم يكن جلالته يطيق اللقاءات المطولة والحديث المطول والإسهاب». وكان جلالته حساسًا لقضية قرارات الإعدام.. كلما أقدم له إضبارة لقرارت التوقيع كان يبادرنا ويبادرني: يا أخي إن كان هناك من ذلك النوع من القرارات، لا تقدمها لي" وحتى لا يلفظ اسم القرار كونه لا يحب أن يوقع على قرارات إعدام".

كيف هدم فندق فيلادلفيا؟

في زيارة ميدانية إلى وسط عمان وبترتيب من أمين عمان الصيدلاني عبدالرؤوف الروابدة، زرنا موقع الأمانة في شارع الهاشمي، وتابعنا بعد الاجتماع المكتبي مشيًا على الأقدام أمام مبناها وعلى يمينها المدرج الروماني وفندق فيلادلفيا. وأتم أمين العاصمة الشرح من مخطات على الأرض من توسعة جديدة وساحات ومنافع الساحة الهاشمية، وذكر

لجلالته أن مبنى الأمانة ومبنى فندق فيلادلفيا يسيء للموقع المخطط له ويعيق التنفيذ ويشوه منظر المدرج الروماني، واقترح على جلالته أن يزال. فرد جلالته وكانت بجانبه جلالة الملكة نور الحسين لاهتمامها بالهندسة والعمارة، ومن الذين صاحبوا جلالته في اللقاء والزيارة الميدانية، وكنت خلف جلالته أسيرُ مستمعًا لأي ملحوظة يبديها جلالته. فذكر للأمين "على بركة الله"، فما كان من عبدالرؤوف الروابدة إلا أن استدار للحظة وخاطب مديريه: يا إخوان سيدنا أمر، بإرادة ملكية أن ينفذ الهدم لمبنى فندق فيلادلفيا، وتم له ذلك فورًا قبل أن يتدخل أحد في قرارات ونصائح تؤثر أو تؤجل من جرائها القرار.

يورد الساكت مقطعًا عن واحد من آخر لقاءاته مع الملك الراحل حسين، لعل فيه ما يكشف عن بعض التغيرات التي رافقت الملك بعد مرضه. فبعد أن خرج بسام الساكت من حكومة عبدالسلام المجالي 1997، اتصل به الملك: "أين أنت يا دكتور، أنا حاب أشوفك" فأجبت: "ياسيدي في عمان وأتطلع لمشاهدتكم".

حدد الموعد، حضرت وكان رئيس الديوان آنذاك الدكتور فايز الطراونة ووزير الخارجية د. جواد العناني، فجلست في مكتب الانتظار، حظر وتبعته إلى مكتبه الخاص، عند الباب نظر إلى الخلف وأشعر من يسيرون خلفه بالشكر، وهو ما يعني عدم مرافقته بعد هذا الحد، رئيس الديوان وموظفو التشريفات.

فتح الباب وتبعته وحدنا، بدأ جلالته الترحيب وأن التغيير في الوزارات مسألة طبيعية غير مستهدف أحد بها، قلت: يا سيدي أنت تقول أني من عظام الرقبة، وتربيت بقربكم وعملت وأهلي في خدمتكم، لكن غير مفهوم لدي أن أخرج من الحكومة دون مبررات واضحة".. وأكمل

شرح قصته. . "ولعظيم لطف الملك وصل بي الحديث أن قلت لجلالته: "ياسيدي يبدو لي أن هناك في الإدارة العامة للدولة من يشارككم في كعكة القرارات والحكم"، فظهرت على جلالته ملامح التعجب والترقب، فسألني: ماذا تقصد؟"، فأجبته: يا سيدي أصبح موظفو الدولة الكبار منذ فترة يحتمون برؤساء الوزارات العاملين والسابقين، وأصبح رؤساء الجامعات وكل من يرغب في أن يترقى ليصبح وزيرًا يلجأ إلى رؤساء الوزارات وغيرهم من الدوائر الفاعلة، في حين كنت في زمن مضى يا جلالة الملك، توزن الشخص المرشح للوزارة وتتعرف على وزنه النوعي وكفاءته وتاريخه، ولكنكم ابتعدتم وهذا هو تفسيري لسؤالكم واستفساركم عن مشاركتهم لكم في كعكة الحكم". فهدأت ملامحه، وقال لي: "يا دكتور يا أخي، أنا ويلي حافظ الأسد وسورية، وويلي الضفة وأبو عمار، وويلي من صحتي". وذكر ذلك فشعرت أن الملك شفاف أكثر مما مضى.

سلوى العاص[1]

الملك حضر تسجيل أغنية "بين الدوالي"

سلوى العاص، واحدة من أولى الفنانات الأردنيات، غنت الأغاني الوطنية والشعبية. من جنين في فلسطين أصلًا، مبكرًا بالإذاعة الأردنية كموظفة، كحال غيرها من الفنانين والفنانات الذين وظفتهم الإذاعة.

تقول سلوى عن نفسها: كنت طالبة في مدرسة بنات جنين الثانوية للبنات، كانت الإذاعة تبث برنامجًا اسمه "ركن الهواة"، يقدمه إبراهيم الذهبي، كنت أغني في المدرسة. اقترحت علي مديرة المدرسة أن أشارك في البرنامج، وشاركت فعلًا، وبعد أخذ ورد مع الوالد والأهل، وافقوا، ولكن كنت أنال العقوبة اللازمة مع كل أغنية لا تعجبه، وهو ما كان يتطلب تدخلًا من رئيس الوزراء أحيانًا. وفي إحدى المرات حركت العائلة حافلة مليئة بالرجال يحملون عصيًا أرادوا مهاجمة الإذاعة، فتدخل مدير الأمن العام.

كانت الإذاعة الوسيلة الإعلامية الأهم في ذلك الحين، في مخاطبة الداخل والخارج، من الأعداء والخصوم والأصدقاء.

كان الملك حسين يعطي الفنون وخاصة الغناء جانبًا من اهتمامه، ويبدو أنه كان مستمعًا ومستمتعًا بالغناء، فمنذ شبابه كان في مناسبات مختلفة يستضيف مطربين وخاصة من المصريين، وعرف بصداقته مع المطرب المصري فريد الأطرش الذي أحيا حفلة زفافه على الأميرة دينا، وفي فترة لاحقة احتفظ بعلاقة صداقة مع فيروز والرحابنة عمومًا، الذين غنوا للأردن وفي مناسباته الوطنية المختلفة.

1- هذه المادة مبنيه على مقابلة إجريت مع الفنانة في منزلها

محليًا، يحتفظ المطربون الأردنيون بذكريات متنوعة عن عنايته ورعايته لهم ولأدائهم.

تتذكر سلوى أنه عند تسجيل أغنية "بين الدوالي" الشهيرة، وبينما كانوا في الإذاعة وبحضور رئيس الوزراء هزاع المجالي، ووصفي التل مدير الإذاعة، اتصل الملك بالرئيس المجالي، فأبلغه الأخير عن الأغنية وأسمعه إياها عبر الهاتف، وبعد لحظات، حضر الملك بالطائرة إلى حرم الإذاعة، كان يرتدي ملابس غير رسمية، ويقود الطائرة بنفسه، واستمع للأغنية وأعجبته كثيرًا. كان الاهتمام بالإذاعة وما يبث عبرها يحظى باهتمام من أعلى المستويات.

تضيف سلوى، إنه في ذلك الوقت، كان الملك سيستقبل ضيوفًا أوروبيين من الخارج، وأقام لهم حفلة في قصر المشتى في الشونة، وكانت فرقة الإذاعة حاضرة دومًا في المناسبات والاحتفالات العامة التي تقام في القصر أو نادي الضباط.

تقول: كنا موظفين في الإذاعة، وكنا نُطلب لإحياء الاحتفالات، ذهبنا إلى قصر المشتى، كان مجموعة فنانين منهم: فهد نجار واسماعيل خضر وعبده موسى، في باحة القصر عملوا حلقة دبكة، وكان الملك وهزاع وحابس المجالي ووصفي التل على رأس الدبكة. وتتذكر أن حابس باشا قام بدور "اللويح" بالدبكة، وكان يغني بين الدوالي و"التشعب العالي" (الكعب العالي)، وكنا نقول له مش والتشعب إنما و"الكرم العالي"، فكان يقول لأ والتشعب العالي أحسن.

دخلنا على قاعة الطعام، كنت أشعر بخجل؛ لأني مبتدئة، ما كنت أعرف بالبروتوكول، ماشية "بتكعكع"، مين وراي؟ الملك حسين. يمسكني من ظهري ويقول: سلوى مالك؟ دفعني بيده، وجلسنا على مائدة الطعام، مع الضيوف، الملك كان ينظر إلينا نظرة احترام. كنا وقت ما ننعزم على العشا بعد ما نخلص لازم نصطف إحنا الفنانين يسلم علينا فردًا فردًا يسألنا عن أخبارنا.

في مناسبة أخرى، كان الشيخ عبدالله الصباح أمير الكويت ضيفًا على الملك، وأقام بالمناسبة حفلةً في مبنى نادي الضباط، وأعطي الأمر، أنه في اللحظة التي تصل فيها المطربة سلوى إلى مقطع "صَبّاب القهوة.. دُور بدلّتها"، يكلف شخص معه فناجين القهوة، بأن يكون متأهبًا ويبدأ بصب القهوة للضيوف. على أثرها كنا في شهر تشرين ثاني طلب عبدالله مبارك أن أزورهم في الكويت لإحياء حلف زفافه إلى سعاد الصباح، فقال الملك أنا متنازل عن احتفالي في 14 تشرين ثاني، وسوف أبعث لك الفرقة. وبالفعل رحنا على الكويت بحفل زواج الأمير.

مرة في شهر رمضان كانت الإذاعة خلية نحل، والأغنية الأردنية في قمتها، وكان الملك وهزاع ووصفي وراها، دائمًا هزاع يمر على الإذاعة ومعه أولاده الصغار، أول ما ييجي يمر على أستوديو القسم الموسيقي ، كان رشيد الكيلاني خرافيًا وسريع البديهة في الكتابة للأغاني، كان أديبًا وعاش في البادية وعنده إلمام باللهجات، وقت ما يمر يسأل رشيد زيد الكيلاني وجميل العاص: "شو عملتو غناوي جديدة؟". كان هزاع يتصل مع أخته مع نايفة المجالي أم ناصر، في الكرك شو عندكوا غناوي جديدة؟ الشيخ رشيد يكون معه قلم ويكتب، ومنها أغنية "وين عرام الله" وقد نقلها عن أخته في الكرك وصيغتها الأصلية، كالتالي: "وين

عَباب الله، شُوفير التكسي، وين عباب الله" وتُغنى في الكرك مع وقت"فاردة العروس". كانوا يغنون على الشوفير أي سائق السيارة.

اجتمع هزاع ووصفي مع لجنة النصوص قالوا ليش ما نخليها أغنية وطنية قومية، وحولوا الكلمات إلى "وين عرام الله". حينها كانت رام الله بالستينات أهم مكان سياحي ومصيف الأردن وفلسطين.

تحدثت الفنانة سلوى عن قصتها مع طلب شخصي تقدمت به للملك، فقد رغبت بتحقيق رغبة ابنها بإكمال دراسته العليا، وتقول إن رئيس الديوان حينها الدكتور خالد الكركي، بعد أن نقل لها الموافقة، أبلغها أن الملك كتب على طلبها كلمة، تقول: "كيف لا أكافئ من خدم هذا الوطن؟".

الفنان مهنا الدرة[1]

الملك قال لي: كتفي على كتفك

مهنا الدرة (1938- 2021)، من أبرز رواد فن الرسم في الأردن، أكمل مؤخرًاعامه الثمانين، وهو أول من درس فن الرسم من الأردنيين، تخرج من روما/ إيطاليا؛ البلد الأشهر عالميًا في هذا المجال. وكغيره من الرواد في شتى المجالات، كان للفنان مهنا الدرة محطات تعرف فيها على الملك المرحوم الحسين، وهي لحظات حملت إشارات خاصة إلى شخصية الملك وأسلوبه الخاص في التحفيز والدفع للأمام.

يتذكر مهنا الدرة لقاءه الأول (المباشر والشخصي) بالملك حُسين ويقول: "أقمت معرضًا فنيًا لبعض رسوماتي في روما عام 1969 وقد غطّى التلفزيون الإيطالي خبر الافتتاح، وبث عنه لقطات سريعة، غير أن الطليان أرسلوا الفيلم الذي صوروه عن المعرض كاملًا، فقد عُرفت في ذلك الزمن الاتفاقيات التي كانت تعقدها تلفزيونات البلدان الصديقة والتي بموجبها يجري تبادل للمواد التي تهم الطرف الآخر".

حينها، كان عُمْر التلفزيون الأردني سنة واحدة (تأسس عام 1968)، وقد بث التلفزيون الفيلمَ القادم من إيطاليا عن معرض الفنان الأردني مهنا، وكان ذلك حدثًا ثقافيًا جديدًا من نوعه، وقد شاهده الملك، وسرّه ذلك على ما يبدو.

يكمل الدرة: "أرسل الملك يريد أن يراني، وذهبتُ فعلًا إلى مبنى الديوان، وتنقلت بين أكثر من مكتب بناء على توجيهات الموظفين، إلى أن طلب مني الجلوس في أحد هذه المكاتب، وما هي إلا لحظات حتى دخل الملك وتقدم نحوي قائلًا:

1- هذه المادة مبنية على مقابلتين مطولتين مع الفنان مهنا الدرة جرتا في منزله عام 2019 قبل وفاته في كانون ثاني 2021.

«أهلًا يا مهنا بيك"، ثم صافحني بحرارة وجلس على طرف الكنبة التي أجلس عليها.. وبسرعة أنساني إنه الملك! قال لي: إني أعتز بك فعلًا، ثم سألني: ماذا تريد؟ قلت له: يا ريت نعمل أكاديمية فنون. فطلب مني أن أكتب له بذلك، ثم نادى على مسؤول اسمه فريدون حكمت،وقال له: نفذوا كل ما يحتاجه مهنا من طلبات بما فيها نقل لوحات لإقامة معارض في أي مكان".

في منتصف الستينات، يلتقي مهنا الدرة مجددًا بزميله في هواية الرسم، المرحوم عبد الحميد شرف، الذي يقول مهنا عنه: "كنت أغار منه، فقد كان يرسم الخيول بشكل ممتاز". لقد اختار كل منهما نمطه الخاص في الفروسية، واحد في الفن وآخر في السياسة. فيعمل السياسي شرف على مساندة الفنان مهنا في الانتقال لتأسيس قسم للفنون في وزارة الثقافة ثم في تأسيس معهد للفنون.

يتذكر مهنا تلك الأيام من العمل بحماس وبجهود ذاتية حتى عندما يتعلق الأمر بأعمال خارج اختصاصهم، لقد احتاجوا ذات يوم إلى إجراء توسعة في صالة للرسم تتطلب هدم جدار كبير، وهو عمل قام به مهنا برفقة أحد المراسلين في الوزارة، وذات يوم صادفه الملك وقد رآه متعبًا، فسأله: خير يا مهنا؟ ما بك؟ فأبلغه بقصة هدم الجدار، فقال له الملك: "من اليوم اعتبر كتفي بكتفك، اعتبرني أعمل معك". يقول مهنا إنه لا ينس تلك الكلمات وأثرها في ذلك الحين.

غير أن قصة الملك مع مهنا ورسوماته سبقت اللقاء الأول بسنوات، ففي عام 1964 (وفق ذاكرة مهنا) شارك الأردن في معرض دولي في نيويورك، وكان ضمن المعروضات الأردنية لوحة فنية لمهنا الدرة تحكي جانبًا من العدوان الاسرائيلي على فلسطين، وكانت اللوحة معبرة

ومباشرة رغم بساطتها الفنية، مما أثار اللوبي الصهيوني الذي أسرع إلى طرح الموضوع في الكونجرس وطالب بإزالة اللوحة، وقد أبلغ الملك حسين بهذا الطلب فاعتبره استفزازيًا ورفضه، ثم أبلغ الأمريكان أنه في حالة إزالة اللوحة فإن الأردن سينسحب من المعرض، وهو أمر لم تكن تريده السلطات الأمريكية أن يحصل في معرض دولي، وبقيت اللوحة واستقطبت المزيد من الجمهور.

يتذكر مهنا أنه في إحدى العطل الصيفية أيام دراسته الجامعية في إيطاليا، كان الجيش الأردني قد استقدم فنانًا إيطاليًا لعمل رسومات جدارية كبيرة في نادي الضباط في الزرقاء.

طُلب من مهنا مرافقة الفنان الإيطالي ليقوم بمهمة الترجمة بينه وبين الضباط الأردنيين المسؤولين، لكن مهنا رأى أن الرسام الإيطالي لا يعمل بجد، فبادر إلى تنفيذ رسومات مماثلة بنفسه سرعان ما تبين أنها أكثر إتقانًا، فواصل العمل وسط إعجاب الضباط وخاصة المرحوم حابس المجالي الذي كان مهتمًا بتلك الرسوم التي تمثل معارك الثورة العربية الكبرى وتحمل وجوه الجنود والفرسان.

توطدت تلك العلاقة بين القائد العسكري والفنان الشاب، وصار المجالي يوفر للرسام الدرة النماذج المطلوبة من الشخصيات والوجوه للرسم، وذلك بعد أن أولع الطرفان القائد العسكري والفنان بوجوه الجنود وخاصة البدو وهي الوجوه اشتهرت في كثير من لوحات مهنا الدرة.

لم تكن "صنعة الرسم" مفهومة في المجتمع، وهنا يقول مهنا: اهتديت إلى طريقة تجعل الناس "يحسّون" بمعنى الرسم، وبدأت برسم الوجوه البدوية، التي ضربتها أشعة الشمس والتي تميز بالنظرات والقسمات

القاسية والحادة والمغرية للرسام، حينها بدأ كثيرون يتأملون بهذه اللوحات التي تنتمي إليهم، وصاروا يدافعون عنها. تلك كانت نقلة جيدة كما يقول مهنا. وقد أعجب الجميع بتلك الرسوم إلى درجة أن الملك في إحدى زياراته لألمانيا قدّم لوحة تحمل صورة بدوي هدية لرئيس بلدية بون عاصمة ألمانيا الغربية آنذاك.

ويتذكر الدرة أن حابس المجالي كان يسميه "الشيطان" تحببًا، وخاصة عندما يراه يتقن تفاصيل لباس الفرسان والهجانة. ثم عرض المجالي على الدرة أن يلتحق بالجيش برتبة ملازم أول ويعمل كرسام فيه، غير أن الدرة لم يكن يرى أن هذا العرض يناسب شخصيته كفنان.

يتذكر مهنا أن مناسبات أخرى جمعته بالملك المرحوم، فقد افتتح معرضًا خاصًا له في عام 1971 بحضور وصفي التل، وقد سجل الملك في سجل الزوار كلمة وصف فيها مهنا الدرة بـ"مفخرتنا".

يقول الدرة إنه رسم صورة للملك حسين عام 1972، وقدّمها له، وبعد أيام أرسل الملك صورة للوحة وعليها كلمة إهداء، والدرة يرى في ذلك تعبيرًا عن ذوق رفيع وعن مدى احترام الملك للفن.

شاهر أبو شحوت

الملك قال لنا: "سأحميكم من ظلم كلوب"

رئيس هيئة تنظيم الضباط الأحرار الأردنيين[1]

شاهر أبو شحوت هو الاسم الأبرز في قصة "الضباط الأحرار الأردنيين"، وقد سجل القصة في مذكرات بخط اليد غير منشورة حتى الآن، وتأتي أهمية التركيز على القصة هنا من خصوصية علاقته بالملك الحسين عبر سنوات طويلة. فأبو شحوت، تعرف على الملك كضابط معارض للقيادة البريطانية للجيش قبل أن يتولى الملك سلطاته الدستوية، ثم تتواصل العلاقة حتى طرد كلوب الذي يقول أبو شحوت إن مجموعة الضباط الأحرار كانت على تواصل مع الملك عند اتخاذه قرار طرده، ثم يُتهم أبو شحوت بالاشتراك بمحاولة انقلاب، ويسجن لخمسة أعوام حتى أفرج عنه بعفو، ثم يؤسس أبو شحوت منظمة فدائية تابعة للحزب الذي ينتمي إليه وهو حزب البعث العربي الاشتراكي، ويغادر إلى بغداد، حتى عام 1975، حيث يعود بموافقة الملك بعد خلافه مع رفاقه هناك.

نعرض فيما يلي مقتطفات من مذكرات أبو شحوت ذات الصلة بعلاقته بالملك:

"في أوائل عام 1950 بدأت وحدات جيشنا بالعودة إلى معسكراتها الدائمة في منطقة "خَو" قرب مدينة الزرقاء، وحملنا معنا همومنا وتمردنا المكبوت في صدرونا أثر الفشل العسكري في حرب تحرير فلسطين".

وفي الزرقاء كان المجال مفتوحًا أمامنا للاتصال بالأهل والأصدقاء في عمان، وكان لي مجموعة من الأصدقاء الأعزاء من زملاء الدراسة

1- تستند هذه المادة إلى مخطوط مذكرات شاهر أبو شحوت غير المنشورة، إضافة إلى مقابلة خاصة بهذا الكتاب أجريت في بيته مع زوجته وابنته بشرى في حزيران 2019 .

الابتدائية والثانوية في عمان (أحمد فوزي وفايز مبيضين وغالب بكري) فأخذت ألتقي بهم أسبوعيًا، وسمعتهم مرة يتحدثون عن حزب سري ناشئ يدعو لوحدة الأمة العربية وتحرير فلسطين، فاستهواني حديثهم عن حزب البعث العربي وتنظيمه القومي، وأبديت رغبتي بالانضمام إليه.

أعجبت بأفكار الحزب ومبادئه وسألت إن كان بالإمكان انضمام عسكريين آخرين، وذكرت على سبيل المثال اسم صديق العمر ورفيق السلاح محمود المعايطة، وبدأنا محمود وأنا نشعر بالحاجة إلى ضم عدد آخر إلينا من ضباط سلاح المدفعية، وفعلًا بدأنا بنشر الدعاية للحزب فاكتسبنا عددًا من النخبة في السلاح (ضافي الجمعاني ومنذر عناب وعزمي مهيار وسليم التل وفوزي أبو نوار وعبدالقادر شومان) وآخرين.

ولم نكن قد استشرنا الحزب في هذا النشاط، وعندما أبلغنا الحزب قيل لنا إنه لا يريد تنظيمات عسكرية ولا عشائرية، لأنها قد تتسلط عليه وتنحرف به عن مبادئه". أسقط في أيدينا أنا ومحمود فكلانا قد تورط في هذا النشاط الذي تقول عنه قيادة الحزب إنه نشاط غير مقبول، فأخذنا نبحث عن مخرج لهذا الإشكال، فتوصلنا إلى فكرة إنشاء تنظيم موسع باسم "التنظيم السري للضباط الوطنيين" واخترنا لهذا التنظيم أن يعمل تحت شعار: "تحرير الجيش الأردني[1] من نفوذ الضباط البريطانيين وإقامة وحدة عسكرية مع سورية".

سافرت إلى لندن بتاريخ 2 شباط 1953 للاشتراك بدورة عسكرية.. ذات يوم حضر إلى لندن الضابط برتبة رائد، علي أبو نوار قادمًا من

1- حركة الضباط الأحرار الأردنيين، تنظيم سري عسكري نشأ عام 1950 تحت اسم «التنظيم السري للضباط الوطنيين» هدفه التخلص من القيادة البريطانية للجيش الأردني، وبعد ثورة تموز 1952 في مصر، التي قادتها حركة الضباط الأحرار المصريين، جرى تغيير اسم الحركة الأردنية تأثرًا واقتداءً. (مذكرات رئيس الحركة هاشم أبو شحوت).

باريس حيث كان يشغل وظيفة ملحق عسكري بالسفارة الأردنية هناك، وزارنا في نادي الضباط والتقيت به وكانت تربطنا صداقة حميمة، وسهرنا معًا في غرفتي بالنادي نتجاذب أطراف الحديث، ووجدتها فرصة مناسبة لمفاتحته بموضوع حركة الضباط الأحرار، وعرضت عليه أن ينضم إلينا، فطلب مني أن أكشف له أسماء أعضاء القيادة وعدد الوحدات التي نستطيع السيطرة عليها، ففعلت ذلك دون تردد تجاه صديق أثق به، فقال غداًأزورك في المساء وأعطيك جوابي، وفعلًا جاء في مساء اليوم التالي مبتهجًا، وقال لي: "أبشرك، أنا فاتحت الملك الحسين بما حدثتني به أمس، وهو أيضًامستعد للتعاون معكم بعملية تعريب قيادة الجيش الأردني والتحرر من النفوذ البريطاني". وللحقيقة وللأمانة فقد أزعجني هذا الخبر أكثر مما سرني -أن يكون الملك معنا، هذا قمة النجاح لنا ولكنه على قمة المسؤولية في البلد فكيف يمكن أن يتعاون مع تنظيم متمرد- أخذت أفكر في هذا الموضوع وظهر عليّ عدم الارتياح وشعر علي أبو نوار بحراجة موقفي، فقال مطمئنًا: «لا تخف، الملك صديقي وقد رافقته في زيارة لفرنسا ووجدته شابًا وطنيًا مثلنا، وعندما تتعرف عليه ستطمئن إليه وتثق به وهو موجود الآن بفندق دورشيستر، هي بنا نذهب إليه فهو يرغب بالتعرف عليك". قلت: "أنا أثق بكلامك،ولكني لست مخولًا من زملائي بهذا الاتصال، ولا أريد إحراج نفسي بهذا الموقف الصعب". فقال علي: لا بأس الملك قد ذكر هذا وطلب من الملحق العسكري صالح الشرع أن يقيم غدًا حفلة عشاء هنا في نادي الضباط يحضرها جميع ضباط البعثات العسكرية في بريطانيا، وسيكون الملك موجودًا وسأقدمك إليه خلال الحفلة".

وبالفعل أقيمت حفلة العشاء في نادي الضباط الأردنيين بلندن، وكان الملك على رأس الحضور، كان يجلس بين المرحومين فوزي الملقي السفير

الأردني آنذاك، وسعد جمعة الذي كان في زيارة لبريطانيا، وجلست أنا في ركن قصي من مجلسه وعيناي عليه وأفكاري سارحة في حلم تمنيت أن يتحقق على يديه. لاحظت أنه يتحدث بهدوء ويصغي باهتمام لحديث جليسيه وعلى وجهه ابتسامة دائمة.

ولم يطل بي الجلوس، فقد جاء علي أبو نوار وأخذني من يدي واتجه بي نحو الملك وقدمني إليه قائلاً: "هذا هو شاهر يا سيدي". فوقف لي وصافحني بحرارة، وقال: "سمعت عنك شيئًا طيبًا من الأخ علي، وإن شاء الله نلتقي في عمان عندما نعود". قلت لجلالته: "وأنا سمعت أيضًا بأخباركم الطيبة ونحن في خدمتكم يا سيدنا". ولم يطل لقاؤنا الأول أكثر من ذلك، فقد تزاحم الحضور خلفنا للسلام على الملك وأخْذ صور تذكارية معه.

انتهت إقامتي في بريطانيا وعدت إلى الأردن، وكان الملك حسين قد عاد قبلي بعد أن أنهى دراسته العسكرية في كلية ساندهيرست العسكرية التي يتخرج منها ضباط الجيش البريطاني.

وفور عودتي، اجتمعت بزملائي في الهيئة التأسيسية وقلت لهم بأنني أحمل أخبارًا خطيرة، وطلبت أن نجتمع في مكان أكثر أمانًا من الأمكنة التي نجتمع بها عادة، وهي بيوتنا أو نوادي ضباط وحداتنا، لكي أحدثهم بالأخبار الخطيرة، فاقترح مازن العجلوني أن نذهب إلى وادي السخنة بأقل عدد من السيارات العسكرية، ونأخذ معنا بعض بنادق الصيد للتمويه ونجتمع في أحد البساتين، وذهبنا في اليوم التالي فعلًا إلى منطقة البساتين، وعقدنا جلستنا تحت شجرة كبيرة وارفة الظلال، فحدثتهم بما جرى في لندن، فثارت ثائرة المتطرفين منهم وأسمعوني مر الكلام: "من أجاز لك أن تكشف أوراقنا وتلعب بمصائرنا مع علي أبو نوارأوحتى مع الملك؟ نحن حركة سرية وقد انكشفنا الآن وأصبحنا مهددين بالخطر".

ولم تقف ثائرتهم عند هذا الحد بل طالبوا بفصلي من الحركة، ودافعت عن نفسي دفاعًا جانبني فيه التوفيق، فقد رفضوا أن يصغوا إلي. وأخيرًا تدخل العقلاء لتهدئة الخواطر. -وكان النقاء الذي يحكم علاقتنا ويسود روابطنا النضالية الصافية أقوى من كل شيء- فهدأت خواطر الغاضبين واعتذروا لي وفي نهاية الاجتماع قال الجميع: "خيرًا إن شاء الله". وعلق شوكت السبول على هذا الموقف متندرًا: «نحن العشرة البررة الذين بايعوا الملك تحت الشجرة». وكنا عشرة بالفعل بغياب أحد الزملاء في واجب رسمي.

في حوالي منتصف عام 1955 حضر علي أبو نوار من باريس بناء على رغبة الملك. وفور وصوله إلى عمان، اتصل بي وسألني إذا كنا قد التقينا بالملك حسين، فأخبرته بأننا لا نزال ننتظر الاتصال من جانبه، وخلال يومين كان علي أبو نوار قد رتب لي لقاءً مع الملك حسين في بيت الشريف زيد بن شاكر في منطقة جبل عمان.

كان الملك بانتظارنا هناك، واستقبلني بالترحاب وقال معتذرًا: "تأخرت عليكم، أعذروني فالظروف لم تساعدني، ثم سألني عن أخباري وأخبار زملائي، فقلت لجلالته: أنا الآن أعمل مرافقًا لقائد الجيش الفريق كلوب باشا وعندي أخبار سيئة" فقال: "ما هي؟" قلت له: "سمعت في القيادة أن كلوب باشا سيرفع إلى جلالتكم قائمة تضم أكثر من عشرين من ضباطنا الطيبين للموافقة على ترميجهم من الخدمة". قال الملك بنبرة حاسمة: "لن أوافق". قلت: "يا سيدنا سيقولون لك هؤلاء متآمرون على العرش". فهبّ واقفًا، وقال: "العرش أضربه برجلي إذا كان سيمنعني من خدمة شعبي وبلدي وإخواني الطيبين. اطمئنوا أنا سأحميكم من هذا الظلم".

أكبرْتُ فيه هذا الموقف الرجولي الذي كان بحضور زيد بن شاكر، وأخذ لساني يلهج بكلمات الشكر والإعجاب، وتساءل الملك بعد ذلك: كيف يمكن أن نرتب اجتماعاتنا في المستقبل؟ فأجابه علي أبو نوار مقترحًا: "يا سيدي إما أن تأخذني أو تأخذ شاهر مرافقًا لك". قلت: أنا الآن مرافق كلوب باشا، ونقلي من عنده إلى القصر سيثير شكوكه، والأفضل أن تأتي أنت". قال علي معترضًا: «كلوب أبعدني إلى باريس ولن يوافق على عودتي للأردن». قال الملك بتصميم: «سأجعله يوافق، وغدًا سأطلب نقلك كبيرًا للمرافقين».

في النصف الثاني من عام 1955، وأثناء محاولات جر الأردن إلى حلف بغداد، ثم حضور تمبلر رئيس أركان الجيش البريطاني إلى عمان لهذه الغاية، يكتب أبو شحوت: "دعانا أبو نوار لاجتماع في بيت ابن عمه عبدالله أبو نوار بجبل عمان، وحضر الاجتماع كل أعضاء الهيئة التأسيسية لحركة الضباط الأحرار، وحدثنا علي بما يجري، فذكر أن الملك يقف مكشوفًاأمام تمبلر الذي يتصرف بوقاحة ويهدد ويتوعد، وليس حول الملك رجال أقوياء في الحكومة يوقفون تمبلر عند حده. ثم قال: وللحقيقة فإن هناك بعض المغانم من اشتراكنا بالحلف وعدد ما يلي:

أولًا: تتضاعف المساعدة المالية السنوية للأردن.

ثانيًا: تنتهي المعاهدة البريطانية الأردنية.

ثالثًا: يرتفع حجم الجيش الأردني إلى ثلاث فرق بدلًا من فرقة واحدة، ويجهز الجيش بأسلحة حديثة في الدروع والمدفعية والطيران.

وفي المناقشة التي دارت بهذا الاجتماع، تبين أن الحلف عبارة عن تحالف إقليمي ضد الاتحاد السوفياتي باشتراك بريطانيا وأمريكا، ولن

يسمح بتحالف عسكري عربي ضد اسرائيل، لأنها قد تصبح عضوًا في الحلف.

قلنا لعلي أبو نوار: إن عدونا هو اسرائيل وليس الاتحاد السوفياتي، الذي لا توجد بيننا وبينه مشاكل. ونحن ضد الحلف والقائلين به وإذا لزم الأمر، فنحن على استعداد للقيام بمظاهرة عسكرية كبرى في شوارع عمان ضد هذا الحلف المشبوه الذي يرفضه كل الشعب، وخرجنا من الاجتماع بهذا الموقف.

انطلقت مظاهرات شعبية في مختلف المدن، وسقط الحلف.

كانت كتيبة المدفعية الثالثة في القدس، وكنا منشغلين ببرامج التدريب المكثفة وإعادة التنظيم بعد حالة الفوضى التي سادت الساحة الأردنية بضفتيها خلال أحداث حلف بغداد التي تركت آثارًا سلبية على الحالة النفسية والمعنوية في صفوف الجيش. وكان انشغالنا في وحداتنا يحول دون عقد اجتماعات الهيئة التأسيسية، وفي إحدى زياراتي النادرة للزرقاء أخبرني محمود المعايطة بأن زملائي عقدوا عدة اجتماعات مع الملك حسين ومرافقه علي أبو نوار، وأن عملية تعريب الجيش الأردني أصبحت وشيكة، وأن الملك سيحدد خطتها ويحدد ساعة الصفر لتنفيذها. وشعرت بالاستياء لبعدي عن هذه الاجتماعات، ولكني في الوقت نفسه كنت فرحًا بالارتباط الوثيق بيننا وبين الملك لتحقيق هدفنا الرئيسي (إخراج الضباط البريطانيين وتعريب قيادة الجيش الأردني) واستعداد الملك لقيادة هذه العملية وتحمل مسؤوليتها، وقررت أن أبقى في مكاني وأن ألتزم بما يتفق عليه زملائي مع الملك.

وفي آخر يوم من شباط 1956 كنت في مستشفى بيتونيا العسكري أعاني من إصابة حادة بالأنفلونزا، جاءني زميلي في الحركة الضابط

مازن العجلوني،وقال لي: "جئت لأبلغك بأن غدًا الأول من آذار هو موعد طرد كلوب باشا، هذا قرار الملك". وحدثني بشكل مختصر بأن الملك سيذهب غدًا إلى مجلس الوزراء، ويطلب منهم اتخاذ قرار بإعفاء كلوب وجميع الضباط البريطانيين وإخراجهم من البلاد فورًا، وأن راضي عناب سيُعين رئيسًا للأركان خلفًا لكلوب باشا، وأن هناك تشكيلات في الجيش، ومنها تعييني قائدًا للكتيبة المدفعية الثالثة. فرحتُ بالأخبار وشعرت بأنني شفيت من المرض، ومع الفجر غادَرت المستشفى بسيارتي العسكرية التي كانت موجودة في ساحة المستشفى، وتوجهت إلى مقر قيادة الكتيبة في معسكر "الرّام"، وأيقظت الملازم الأول مروان الجندي أركان حرب كتيبة المدفعية الثالثة، وكان عضوًا متقدمًا في تنظيم الضباط الأحرار، وبلّغته بالخبر وكلفته بمراقبة الموقف في قيادة الكتيبة وقيادة اللواء الأول. وقلت له بأنني سأذهب إلى مقر الكتيبة في "النبي موسى" للسيطرة على الموقف هناك، وطلبت أن يبقى على اتصال معي ليبلغني بما يحدث عنده من تطورات، وكلفته بمراقبة أي تحرك مشبوه من الضباط البريطانيين بالقوة إذا لزم الأمر. وكما توقعت منه قال لي: توكل على الله واطمئن. عندي هنا ضباط صف وجنود نشامى ولن يحدث إلا الخير إن شاء الله.

وصلت إلى قصر بسمان ودخلت إلى الديوان الملكي، فوجدت الملك حسين يجلس على أحد المقاعد في الصالون الكبير والى جانبه يجلس رئيس ديوانه بهجت التلهوني، وخلفه يقف المرافقون العسكريون (علي أبو نوار ومازن العجلوني ومنذر عناب ومعهم خال الملك الشريف ناصر بن جميل). وما إن رآني جلالته حتى هبّ واقفًا وأقبل علي معانقًا ومباركا، ودعاني للجلوس فجلست أنظر إليه بمحبة وإعجاب وبدا لي رائعًا في تلك اللحظة، يشرب القهوة ويدخن وعلى وجهه ابتسامة مشرقة.

سألني عن الحالة عندنا في منطقة القدس، فطمأنته بأنها جيدة، وأني لا أتوقع أي مشاكل في وحدات الجيش جميعها، فقال: "الحمد لله مرّكل شيء بسلام". ولم يطل بي الجلوس فاستأذنت من جلالته بالذهاب إلى الزرقاء للاطلاع على الموقف هناك.

بهذا، وفق مذكرات أبو شحوت، تكون مهمة حركة الضباط الأحرار قد أنجزت. ثم تطورت الأحداث بعد انتخابات عام 1956 وتشكيل حكومة سليمان النابلسي من ائتلاف وطني يساري قومي، التي استمرت ستة شهور وأقيلت في نيسان عام 1957م.

(توقفت علاقة أبو شحوت بالملك بعد حادثة الانقلاب بعد إقالة حكومة النابلسي، والتي ينفي أبو شحوت صحتها ويعتبرها كيدية، لكن أبو شحوت لم يغادر البلد كآخرين من سياسيين وعسكريين من بينهم أبو نوار، واتخذ مع زميليه محمود المعايطة وضافي الجمعاني قرار البقاء ومواجهة الموقف بغض النظر عن النتيجة. وبالفعل يعتقل أبو شحوت مع عدد من رفاقه وتصدر بحقهم أحكام بالسجن بين 10- 15 عامًا. ثم يخرجون بعفو خاص عام 1962، ويلتقون بوصفي التل رئيس الوزراء، وترتب أمورهم الحياتية، ويحصلون على وظائف في مؤسسات حكومية مدنية.

في تلك الفترة حافظ أبو شحوت على عضويته في حزب البعث العربي الاشتراكي. وفي عام 1968 عندما انطلق العمل الفدائي وبدأت الأحزاب تشكل فصائل خاصة، يعمل أبو شحوت على تأسيس منظمة مسلحة تابعة لحزب البعث (تنظيم العراق) تحمل اسم "جبهة التحرير العربية". وفي الأثناء يُعرض عليه رسميًا فرصة العودة للجيش العربي الأردني بمنصب نائب القائد العام، لكنه يفضل العمل العسكري الفدائي (الحزبي)، ثم يختلف مع المنظمة التي يرأسها ويُنقل إلى بغداد مع مطلع عام 1970 للعمل في "مكتب فلسطين" هناك.

يلتقي أبو شحوت مع الملك عام 1974 في الرباط، بعد أن يلعب دورًا في كشف محاولة اغتيال للملك في تلك القمة، ثم يعود إلى بغداد، ويختلف مجددًا مع حزبه، وتُعقد له محاكمة حزبية، فيتقدم بطلب العودة لوطنه، وبالفعل تنظم تلك العودة عن طريق رفيقه السابق مازن العجلوني (عضو الضباط الأحرار) الذي كان يعمل مرافقًا للملك حسين. ويعود أبو شحوت فعلاًإلى الأردن.

تقول زوجة أبو شحوت: بناء على أوامر الملك عُدنا بشكل طبيعي، ولم يجر توقيفنا أو سؤالنا أو تفتيشنا على الحدود. ثم يزور الملكُ الحسين أبو شحوت في منزله للسلام عليه، ويطمئن على وضعه المعيشي، ويأمر بتخصيص مبلغ مالي منتظم. ثم يزوره عدة مرات وخاصة بعد مرضه واضطراره للسفر، حيث أمر الملك بعلاجه على نفقته.

تؤكد زوجة أبو شحوت أن زوجها لم يتعرض بعد عودته لأي سؤال، ولم يتطرق الملك خلال لقاءاتهما لأي من شؤون الماضي. وكانت الزيارة تجري بأجواء ودية، فيلتقي الملك مع الأسرة ويطمئن عليها، ولم يكن يرافق الملك عند دخوله البيت أي عسكري، وكنا نعد الضيافة في مطبخنا كما لو كان ضيفًا عاديًا. وعند وفاة أبو شحوت، قام الملك بزيارة أخيرة وقدم تعازيه للأسرة.

ضافي الجمعاني 1928- 2020

لقاءات في ظروف متنوعة

أحد قادة ومؤسسي حركة الضباط الأحرار الأردنيين (1950- 1957). تميز بحدة مواقفه في مختلف مراحل حياته، اعتقل مع رفاقه عام 1957 وأمضى خمس سنوات في السجن، ثم أفرج عنه والتحق وفق ترتيبات رسمية بالعمل المدني الحكومي، ولكنه واصل نشاطه الحزبي في حزب البعث العربي الاشتراكي، وبعد هزيمة حزيران 1967 ونشوء العمل الفدائي، ترك عمله الحكومي وأسس منظمة فدائية تابعة للحزب (التنظيم السوري). غادر الأردن إلى سورية في أيلول 1970، ولكنه اعتقل في سورية بعد استلام الرئيس حافظ الأسد السلطة، وبقي في السجن 25 عامًا، وقد استبقي بشكل خاص بعد الإفراج عن رفاقه لمدة سنتين إضافيتين، بسبب حدة مواقفه خلال فترة الاعتقال.

التقيت الجمعاني قبل وفاته بحوالي سنتين في منزله في عمان، بهدف الاطلاع على ما تحمله ذاكرته عن علاقته مع الملك الحسين، بادرني بالقول إنه كان يرغب أن يلتقي الملك قبل وفاته (وفاة الملك) "لكي أقول له وبصدق، أنا لست عدوًا لك، بل عدو للنهج، وأنت لست مسؤولًا عن النهج".

قال جمعاني إن الملك الحسين زار رفيقَه في السجن (في سورية) حاكم الفايز بعد الإفراج عن الأخير، فأبلغ الفايزُ الملكَ أن ضافي الجمعاني لا يزال مسجونًا، وطلب إليه التدخل لدى الرئيس حافظ الأسد، وأن الملك كلّف رئيسَ الوزراء الأسبق زيد الرفاعي بزيارة الرئيس الأسد لهذه الغاية، وبالفعل حصلت الزيارة وأُفرِجَ عن ضافي الجمعاني وعاد إلى

الأردن. وهنا يضيف الجمعاني، بأن الملك كان ينوي زيارته، أي زيارة الجمعاني، في منزله للتهنئة بالإفراج، كما فعل مع رفيقيه حاكم الفايز ومحمود المعايطة، لكن الملك نُصح بعدم الزيارة بعد أن أُبلِــغَ أن بيت الجمعاني حيث يستقبل الزوار، مليء باليافطات التي تحمل توقيعات أحزاب المعارضة وشعارات المعارضة، ذلك أن الإفراج حصل في فترة الانفتاح الديمقراطي في مطلع تسعينات القرن العشرين، ولهذا فإن الملك اكتفى بالاتصال هاتفيًا مع الجمعاني وتهنئته بالإفراج.

وعن بدايات علاقته بالملك الحسين، يقول الجمعاني إنه التقى الملك جماعيًا في مطلع الخمسينات في نادي الضباط، غير أن اللقاء المهم الأول كان بعد أن أفرج عن الضباط المعتقلين عام 1963، إذ تحدث إليهم الملك عن المستجدات، وأنه يريد فتح صفحة جديدة، ولكن الجمعاني في ذلك اللقاء امتنع عن الكلام بينما تكلم رفيقه ورئيس المجموعة، شاهر أبو شحوت، وفي ذلك اللقاء تقرر إعادة الضباط المفرج عنهم إلى العمل، فعاد بعضهم إلى أجهزة الأمن، وآخرون عينوا في الجهاز المدني من بينهم الجمعاني الذي التحق في وظيفة في مؤسسة اقتصادية رئيسية كان اسمها "مجلس الإعمار" سبقت قيام وزارة التخطيط.

توقفت اللقاءات إلى ما بعد وقوع هزيمة حزيران 1967، كان الجمعاني قد ترك وظيفته الرسمية الحكومية وأسس منظمة فدائية مسلحة تابعة لحزب البعث (الجناح السوري) حملت اسم "الصاعقة" وأخذت تعمل إلى جانب منظمات مسلحة عديدة.

يتذكر الجمعاني: "حصل قتال بالسلاح، كنت حينها في منطقة العارضة في السلط، اتصلت قيادات فدائية وطلبوا مني الحضور إلى عمان، في البداية لم أستطع الوصول بسبب الحواجز، كان الفريقان (الحكومة والمنظمات)

يريدان أن أكون موجودًا، فحضرت سيارة رسمية فيها رئيس مجلس النواب كامل عريقات، فأخذني معه، دخلت فوجدت عبد المنعم الرفاعي ومدير الأمن العام ومدير المخابرات محمد رسول كيلاني، ومن طرف المنظمات، حضر صلاح خلف وبهجت أبو غربية، بعد قليل حضر الملك حسين وجلس إلى جواري، ثم أخرج سيجارة، فبادرت إلى توليعها له، أخذ منها "سَحبتين"، ثم قام، فوقفت وقلت له: لم نعمل شيئًا يا جلالة الملك. فرد: مَعَلَش، ثم ضحك وغادر. (يبدو وكأنه كان يريد معرفة سلوكي عندما يريد إشعال السيجارة!).

«بعد قليل أبلغونا بموعد اجتماع للحكومة مع المقاومة، وعدنا نحن إلى اجتماع اللجنة التنفيذية للمقاومة، وشكلنا وفدًا مُكونًا منّا الثلاثة الذين حضرنا اللقاء الأول، وذهبنا إلى مجلس الوزراء وحضر من الحكومة رئيس الوزراء بهجت التلهوني إضافة إلى الشخصيات الثلاث التي حضرت اللقاء الأول. مباشرة دخل الملك يرتدي ملابس غير رسمية، جلس إلى جانب صلاح خلف، وتحدث أولًا عبر جهاز لاسلكي، ثم قال لنا إن هناك قتالًا بين قوات البادية مع الفدائيين في منطقة الوحدات، ثم نظر إلينا،وقال: يا إخوان هل منكم أحد لا يقر بأن على هذه الدولة واجبات تجاه الناس، وأن عليها مسؤوليات تجاه الشعب ينبغي أن تقوم بها؟ انتظرت رفاقي الفلسطينيين لكي يجيبوا، لكن أحدًا لم يفعل، فاعتبرت السؤال موجهًا لي شخصيًا. "هيك الله هداني"، قلت له يا جلالة سيدنا أنت لست طرف في هذا الصراع أنت حكم فيه. حكومة جلالتك أصدرت 15 بندًا يلزم الفدائيين بشروط يصعب أن نقبلها. عندها أخذ الملك الفريق الحكومي إلى مكتب مجاور، ثم عادوا بعد نصف ساعة ومعهم صيغة جديدة، لكنها لم تكن مرضية لنا، فقلت له: "يا جلالة سيدنا لو أشنق أمام دار الرئاسة ما أخذت هذا إلى

رفاقي"، فضحك الملك، وهنا غضب محمد رسول، وقال: "هذه صلافة". قلت له أنت ما الك عندي أي شي. ضحك أكثر الملك الحسين. وانتهى الاجتماع. يبدو أن القيادات كانت تريد أن يكون التنازل مني وليس من منظمة فتح، صاحبة الاستراتيجية، حتى يبرروا انهزامهم أمام النظام. إذا قبلت تكون هزيمة المقاومة أمام النظام. وأكون أنا سبب الهزيمة.

بعد هزيمة 1967 دعا سليمان نابلسي حوالي 30 إلى 40 شخصية سياسية، والتقينا في النقابات كان النابلسي على الرأس، وأثناء اجتماعنا دخل الملك ومعه مدير المخابرات العامة محمد رسول الكيلاني، فقام سليمان النابلسي، ودعا الملك الحسين للجلوس مكانه، على رأس الاجتماع. لم نكن نعلم بقدومه. حكى الملك الحسين عن سيرة الهاشميين، والثورة العربية الكبرى. حكى كثير من الحضور، بعدين رفعت يدي تجاوزني أكثر من مرة، قلت يا جلالة الملك بدي أحكي، فسمح لي، قلت له هاي الأرض مو إحنا سوياها عربية الرجال الماضيين قبلنا الناس اللي فيها عرب لا يحق أن نتنازل عن شبر فيها خليها للأجيال القادمة ما تسجل علينا أنه إحنا تنازلنا عن أرضنا، قال لي:يد واحدة ما بتصفق، قلت له:يد واحدة والناس بصفقوا أحسن، كان هذا أول لقاء بعد لقاء الخروج من السجن.

صار اجتماع ثان، طلب الملك من سليمان النابلسي وعدد قليل أن يحضروا إليه. رحنا على القصر كان مع الملك زيد الرفاعي رئيس الديوان والأمير حسن، حكى عن نفس الموضوع، وسأل الملك ما هي الصيغة الممكنة طالما لا نستطيع إجراء انتخابات؟ فقال الشاعر الفلسطيني كمال ناصر: كان موجودًا، الملك استدرج وقال: شو الصيغة طالما لا نستطيع إجراء انتخابات؟ كمال ناصر،قال له: نعود إلى سنة 1957. فأجابه الملك: لا يمكن القبول بالعودة إليها.

عمر النابلسي

ملك يحترم الناس

عمر النابلسي محام ووزير سابق، رافق الملك الحسين في مدرسة فكتوريا في الإسكندرية، التقيت به في منزله في عمان لغايات استعمال شهادته في هذا الكتاب.

يقول النابلسي: كانت كلية فكتوريا مشهورة يلتحق بها أبناء العائلات الكبيرة وأبناء الأمراء، أرسلني أهلي إلى تلك المدرسة، فأنا ابن من زملائنا، زيد الرفاعي وخالد الرفاعي وزيد بن شاكر والملك الحسين أمضيت من سن 10- 17 بعدها التحقت بالجامعة القاهرة.

كنت مع الملك حسين في نفس الصف لمدة سنتين، وقد غادر الملك المدرسة بعد استشهاد جده الملك عبدالله.

تقليد المدرسة فكتوريا مؤسسة على التقاليد البريطانية في التعليم، وهي تدار من اكسفورد وكمبردج، كانت الفكرة أنه طالما التحق الطالب بالمدرسة فلم تعد له صفة خاصة، أنا "أو نابلسي" والملك "اتش طلال".

ما كنت أعرفه أن زميلي طالب أردني اسمه "اتش طلال" وهو يناديني "نابلسي" وأنا أناديه "طلال"، ولم أكن أعرف عنه شيئًا آخر. ذات يوم وأنا في الصف أجلس على كرسي بجانب الشباك، حضر شخص إلى الفصل،وقال: مطلوب "اتش طلال" لأن والده يريد رؤيته. قام اتش طلال، وكنت أنظر من الشباك، فرأيته يسلم على ضابط أردني، عرفته من اللباس الرسمي العسكري "اليونيفورم الأردني"، ومعاه عوني عبدالهادي، وقد كنت أعرف عوني عبدالهادي بشكل شخصي بسبب علاقة قرابة، لاحظت أن "اتش طلال" قبّل يد الضابط، وعندما انتهت

اركضت على زيد بن شاكر، قلت له: يا زيد، قلت له: طلال أبوه ضابط أردني؟ قال: يا جاهل هذا أبوه الأمير طلال ولي العهد، فاستغربت.

لما خلص، رحت عليه قلت له يعني جدك عبدالله كانت الصحافة المصرية تنتقد الملك عبدالله فصرنا نتمازح، بعدها استمر طلال لسنة ثانية كان هذا الموقف في السنة الأولى.

ترك المدرسة، أنا كملت دراستي، لم تكن لي معه علاقة شخصية، كنت عندما أحضر في زيارة للأردن وحتى أجدد الصلة، أتواصل مع أبو شاكر (زيد بن شاكر) وهو صديق عشت معه 7 سنوات. كان ينظم لي لقاء مع الملك أسلم عليه في لقاء سريع، إلى أن حصل لقاء القاهرة، وعُينت في الديوان.

يقول النابلسي عن نفسه: تخرجت من جامعة القاهرة سنة 1958 من كلية الحقوق، بعدها اشتغلت في ليبيا ثم ملحقًا سياسيًا في الأمانة العامة لجامعة الدول العربية في القاهرة. وحتى يتعين الموظف يجب على حكومة الموظف أن ترشحه فحصلت على ترشيح للوظيفة وبقيت 10 سنوات موظفًا، ترقيت إلى سكرتير تنفيذي.

أثناء عملي في القاهرة سنة 1968 كان جلالة الملك حسين يزور القاهرة لكي يلتقي مع ناصر، في تلك الأثناء كان خريجو كلية فكتوريا يلتقوا كزملاء دراسة مع الملك، فيعملوا ترتيب مع السلطات المصرية للقاء الطلبة الزملاء، كنت أحدهم، أسلم عليه، وفي إحدى المرات، سألني: ماذا تعمل هنا؟ قلت له: أعمل في الجامعة العربية. قال لي: "ليش ما تجيي تشتغل في بلدك". قلت له: أنا بتمنى أرجع أشتغل ببلدي.

بعدها بعشرة أيام، جاءتني رسالة من أمين عام الديوان الملكي زيد الرفاعي، إنه سيدنا يرغب أن تلتحق بخدمته في الديوان. قلت له: يشرفني جدًا. انتقلت سنة 1969 من الجامعة العربية إلى الديوان بوظيفة مساعد لرئيس الديوان. بقيت في خدمة الملك إلى أن تطورت الأحداث إلى سنة 1970 بعد الحكومة العسكرية. كلف المرحوم أحمد طوقان تشكيل حكومة مدنية.

خلال المدة أكثر من سنة كنت مجرد موظف عادي، لم أكن قريبًا منه، أمين عام الديوان الرفاعي وبهجت التلهوني ومازن العجلوني ينال حكمت قريبون، عدد الموظفين 6 كنت علاقة عادية. لا أدعي أنه كان لي علاقة خاصة معه.

قضيت معه سنتين في كلية فكتوريا، ولم ينس العلاقة، كان يعرفني ويعاملني كزميل سابق، ولكن ما في علاقة شخصية، أنا مواطن وهو ملك.. لم يقربني منه.

بناء على طلب الملك عرض علي أكون في هذا الفريق. كنت موظفًا في معية زيد الرفاعي، كان رأي الملك أن تكون الحكومة مطعمة بعدد من الفلسطينيين وأن يتضح أن هناك فلسطينيين يشتغلوا مع النظام. كنت مؤمنًا بمسيرة الملك وأن الإجراء الذي اتخذه بحق الفدائيين كان صحيحًا مئة في المئة، لأني بعد ما رجعت من القاهرة "شفت أنه ما كانش في نظام وحكومة، كنت تلاقي الفدائيين في شوارع عمان ما كنتش تلاقيهم يقاتلوا في الأغوار. هم في العاصمة. كنت موظفًا في الديوان، وبصعوبة أنتقل إلى عملي. كنت في جبل الويبدة، كنت متحمسًا للحكومة". بعد طوقان تشكلت حكومة التل بقيت معه ثم بقيت مع اللوزي، ثم سفيرًا في لندن، ثم مع زيد الرفاعي وزير اقتصاد وطني حتى 1975 الحصة،

ثم استقلت، وعُدتُ مع عبدالحميد شرف، وقاسم الريماوي.

أسجل أن الملك يحترم الناس ولا يهينهم، لما جاء وصفي التل يشكل وزارته، لم يكن وصفي يعرف عمر نابلسي، كان عمري 32 سنة. قال الملك: إن عمر جاءنا في أيلول، وأريده في الوزارة. وعندما استشهد وصفي، بقيتُ في حكومة أحمد اللوزي التي تلتها، وحصل خلاف بيني وبين اللوزي، وأراد أن يخرجني من الحكومة وذكر للملك عمري حينها وهو 33 سنة، فقال له الملك: "هذا هو عمري، نفس السّن". كان الملك نبيلًا. كان هو ملكًا ونحن رعايا. كان يرفع الكلفة مع ناس معينين، لكني لم أكن منهم.

محمد الزعبي

الملك مع حرسه مطلق الطمأنينة

العميد المتقاعد محمد الزعبي[1]، مواليد عام 1950 في قرية جفين في لواء بني كنانة. التحق بالقوات المسلحة عام 1970. وانتقل إلى الحرس الملكي عام 1973.

استرسل العميد المتقاعد الزعبي في حديث ذكريات طويلة ومتنوعة، وقد ساعده وحفزه على التذكر، حضور زميله وصديقه العميد المتقاعد حمدان الغرايبة الذي رتب للقاء. تتوزع ذكريات الزعبي بين ما هو شخصي وعام.

وفق الزعبي، كان الملك يشعر جماعة الحرس بالأمان والرضى، ويخصهم بذلك. فقد كانت علاقته مع المسؤولين رسمية، بينما كان يريحنا كحرس، ولكنها طبعًا أريحية منضبطة، فعليك أن تكون قليل الكلام، قد يقول لك: كيف حالك؟ يجب أن يكون حديثك مختصرًا، فتجيب: «يطوّل عُمرك». كان يرتاح لهذه العبارة، فيرد: أشكرك.

كان مطلق الطمأنينة بيننا، كنت أدخل إلى غرفته الخاصة، وتعود الثقة إلى قائد الحرس، الذي له سلطة ويحق له إبعاد من يريد منا، ولكن كان هناك انضباط عالٍ. كان الملك يحب أن تكون عفيف النفس.

في لقاءاته مع الجمهور والحشود، كان الملك يحرص أن نعامل الناس بلطف، يتذكر الزعبي حادثة كان الملك فيها يفتتح مسجدًا في منطقة ما بين الدوار السادس والسابع، كان الزعبي مُرافقًا للملك، عند خروج المصلين، كان هناك اكتظاظًا من قبل الجمهور، فدفع الزعبي أحد المواطنين بشدة، ولاحظ الملك ذلك، وقد غضب، لكنه لم يحدثني

1- مقابلة مع العميد المتقاعد في بيته في اربد

بذلك شخصيًا بل أبلغ ذلك لقائد الحرس. كثيرًا ما كان ينبه رجال الحراسة إلى التعامل الإنساني.

يكمل الزعبي ذكرياته، ففي أحد أيام الجمعة عام 1984، قيل لنا: «سيدنا بده يطلع»، فرافقناه في ثلاث سيارات، مرّمن ناعور والسلط ثم إلى عمان، وإذا مقابل الجامعة الأردنية توجد سيارة قد انقلبت لتوها، وكان الغبار لا يزال يتصاعد منها، كان الملك يقود سيارته بنفسه ومعه الملكة نور، فتوقف عند الحادث، وتوقفنا معه وطلب منا أن نقلب السيارة وكان هو معنا، فبدأ الناس بالاجتماع حولنا، فتقدمت منه، وقلت له: يا سيدي اركب وتحرّك واحنا بنقوم بالواجب وبنتصرف بناء على أوامرك». وبالفعل قمنا بتأمين المصابين للمدينة الطبية. ويؤكد الزعبي أن الموقف بقي في إطاره الضيق ولم تسجله الصحافة أو تشير إليه.

في بداية خدمتي بالحرس، كنا مرة في سفر خارجي، فطلبنا الملك للمشاركة في مباراة رماية، زكاني قائد الحرس محمد كساب،وقال للملك: «محمد أفضل رامي»، وبالفعل كانت نتيجتي جيدة، وقد ظلت هذه الحادثة بباله، فكان دومًا يسألني عن الرماية. وفي أحد الأيام، كنا في السعودية، ناداني ليلًا، وقال لي: "لك عندي مسدس هدية عند العودة"، فغابت القصة عدة شهور، وذات يوم وأنا في دوامي في قصر الضيافة بين الدوار الرابع والخامس، وكان ضيفه الملك خوان كارلوس، وإذا بقائد الحرس يناديني، ويقول لي:«سيدنا يريدك. ذهبت إليه، فقال لي: «هذا هو المسدس، هديتك التي وعدتك بها» وأهدى الملك كارلوس مسدسًا آخر يشبهه.

كنا يومًا برفقة الملك في لندن، في زيارة، وتقرر أن نرمي في مباراة رماية مع الإنجليز، كان زميلي محمود نمر المجالي منسق هدف، وعليه أن يحمل الهدف على أن نرمي عليه، قال لي قائدي محمد كساب: "بدنا نفرجيهم!".

الإنجليز تفاجأوا، كانت الرماية على صورة يحملها المجالي كهدف، رميت 10 طلقات، ، كان الشريف زيد حاضرًا، تردد في قبول فكرة أن يحمل زميلنا الهدف، لكني رميت عليه 10 طلقات. كانت رمايتي منحرفة قليلًا، قلت له: يا سيدي الهدف عالي.

ولما عدنا وأثناء العشاء، كان الملك ومعه الشريف زيد، فقال ضاحكًا: "بنقول لمحمد رمايتك عالية بقول الهدف عالي، يا زلمة افرض اللي هاجمني زلمة طويل".

مرة بالمدينة الرياضية، بعد أن تحرك الموكب، وإذا برجل يهجم، فتفاعلت معه، فطلب الملك مني أن أسمح له بالتقدم، فإذا هو يريد أن يتظلم أمام الملك بسبب ترميجيه من الجيش، فاستمع له الملك،ولكنه قال له: يا أخي كيف بتهجم هيك افرض أطلقتعليك النار، أشّر لنا، لكن مش هيك".
يوضح الزعبي: يعود الأمر لتقديرنا، في تلك الفترة كانت درجة الأمان مقبولة، والناس كانت طيبة. في احتفالات اليوبيل كانت الناس تجتمع بالأولوف، كنا لا نعرف كيف نتحرك، وقد أصيب ثلاثة منا بكسور من الركض. كان بعضنا يعود حافيًا بلا حذاء. كانت هناك أجهزة أمنية أخرى تساعدنا، ولكن المسؤولية الأولى على الحرس الملكي.

يختلف مستوى الإجراءات بحسب المناسبة، في الزيارات للمعسكرات مختلفة، تراقب بدون تدخل علينا أن نتصرف بأدب؛ لأنه كلنا مثل بعض. وفي حالات زياراته الخاصة لأشخاص موثوقين، تختلف عن زياراته الرسمية، فقد يجري في المناسبات الرسمية مسبقًا إعداد طعام خاص، أو يرافقه طباخون خاصون. ولكنه كان يتناول الطعام المعد بشكل ذاتي في الدعوات الخاصة، وهو يأكل قليلًا عادة.

مرة كان عنده ناس، كان ينزل نهارًا إلى الساحة ليتمشى، أحضروا وجبة الغداء. كان أحد جنود الحراسة يتجول قريبًا من موقع الملك ومرافقيه، أراد الملك أن ينفرد مع ضيوفه، لكنه لم يرد أن يكسر بخاطر الجندي، فقال له: تفضل للغداء معنا. فأجاب الجندي: لا يا سيدي، هذه وظيفتي هنا. لم يظهر الملك رغبته للعسكري مباشرة، فاتصل مع قائد الحرس ليقوم بمهمة الطلب من الجندي الابتعاد.

نفسيًا كنت مترياح كيوم عملٍ، صاحب القرار هو الحرس الملكي. كان الملك يغضب إذا سمع إنه أحدًا تدخل بشغلنا، حتى من الأمراء.

جهاد غرايبة

الملك يعطيك أريحية

(ضابط متقاعد برتبة نقيب في الحرس الملكي، من مواليد عام 1948 في الأغوار، ويقيم الآن في بلدة حوارة).

يتذكر موقفين مع الملك:

الأول في العقبة حيث كان الغرايبة ضابط حراسة في القصور هناك، وعند حصول الموقف كان الضابط الوحيد الموقع، برتبة ملازم.

«كنا بلا اتصالات مع عمان فلا يتوفر خط أرضي، للاتصال كنا نعتمد على جهاز اسمه جرس 9 بالنهار في الليل يكون الاتصال صعبًا. أنا موجود والوقت كان قبل الظهر بقليل، الملك في الداخل، ولم تكن مهمتنا تشمل الداخل، وإذا جنود الحرس الخارجي على الباب يقولوا: "أهل العقبة على الأبواب بدهم يشوفو الملك".

كحرس لم تكن لنا علاقة بما هو داخل القصر. أمام القصر باتجاه البحر يوجد يخت، مربوط مع ممر يدخله إلى القصر. لا يوجد وقت للاتصال وأخذ موافقة من المسؤولين عني في عمان. إنه الملك، وأنا "شبيب صغير، بعدني على البركة، عالسّبحانية"، أنا ركضت على القصر، اعتقدت أن الملك في داخله. سألت وين الملك؟ وين أبو عبدالله؟ قال لي أحدهم: "هظاكّوهْ بِسْبَح". يكمل الغرايبة: "ونّه هو وأنور محمد، مش بعيدين حوالي 1000 متر. اقتربت وصرت أنادي بأعلى صوتي: "هيبي يا سيدي.. يا سيدي". يظهر أن الملك شافني. حضر الملك، طبعًا أديت له التحية، فات وقال لي: "نعم يا سيدي؟". قت له: "العفو يا سيدي هي أهل

العقبة عالباب بدهم إياك". ابتسم، وقال: "إذا سمحت يا سيدي روح قدامي قللهم هيّو جاي بس بدي ألبس".

يكمل جهاد الغرايبة: "والله لحيته مهي محلوقة إلها يومين أو ثلاث، أنا رْكاض، قلت لرقيب عندنا جيب روفر وجيب مكبر الصوت، هاظ (المكبر) بنستخدمه للمراقبة، تأكد إنه فيه بطاريات جْداد، أجا الملك، طلّعناه على بُوز الرّوفر من قدام، ولا تَعْزيز حراسة ولا إشي، على السّبحانية، ووقف بيهم وخطب، اعتزازي فيكم ما اله حد، كلماته المعهوده".

يستذكر الغرايبة مجددًا: "الناس وصلوا للسور، عالباب، خارج القصر في الشارع المؤدي للقصر والملك طلع عالروفر بقميص نص كم وبنطلون أزرق، تبع السباحة لونه بُني بخطوط ضعيفة ومن فوق سْكِن (الجزء العلوي من جسده بلا ملابس).

الموقف الثاني، يتعلق بقصة ضابط الحرس رافع الهنداوي الذي اكتشفت علاقته بمحاولة انقلاب عام 1972. المكان هو كتيبة الحراسة في الإذاعة والتلفزيون في عمان:

يقول الغرايبة: "أجت شغلة رافع الهنداوي ومحاولة الانقلاب، كنت وقتها بالإذاعة والتلفزيون (كان الحرس الملكي هو المسؤول الأمني عنه). فقبل المغرب بساعة. قاعدْ مسْتأنسْ، قايد الكتيبة، اسمه محمد عبد المجيد، كان قد غادر إلى بيته في الزرقاء. ونّهْ التلفون بضرب، ونّه باب الإذاعة، المدخل عند الإذاعة، ونّه بقول لي: يا سيديَ قايد الفرقة فات، كاسب الصفوق، مفيش مسافة 200 متر، طْلعت باب النادي، ونّه الرّوفر وبسوق فيها الملك، والعَلَم يرفرف، وقايد الفرقة والشريف

زيد. الملك بعطيك أريحية، سلمت عليه، سلمت عليه بأريحية أكثر مِنْ ما بِتْسلّم على قايد اللواء.

أشار لي القائد بأن أجمع الكتيبة بسرعة؛ لأنه سيدنا بده يحكي فيهم كلمتين. جمعناهم وأذكر أنهم كانوا وزّعوا عالجيش كراسي كروم حمرا بتنطوي، قال جيبو كرسي، جبت كرسي، ما حدا قعد غير الملك، وجهه لِقِبْلِهْ، قَرْمَزت بْحَدُّه، ما بفصلني عنه أكثر من 15 سم. هو قاعد عَكرسي واطي، والقعدة مثل ما تقول عائلية، بدهوش إياها رسمية، خطابات وما خطابات. وقّف كاسب الصفوق والشريف زيد، وبَلّش الملك يحكي، قال: إخواني، أنا جاي أحكيلكوا عن زميل لينا، (ما سماه)، إحنا متبعينه من البداية. هاظ الضابط بروح زيارة على مصر وبلتقي مع ضابط استخبارات ليبي، وبجندوه معهم، وإحنا متابعيه وكل الحوالات المالية اللي كانت تيجي على بنك الأردن فرع جبل الحسين، إحنا متابعينها وكل الرسائل اللي كانت تيجيه ووديها، إحنا كنا نقرأها ونمررها اله، بالحرف الواحد حتى وصلت الأمور إنه ما عدش نقدر نغض الطرف عنها، فأنا قلت خليني أشوف الرجل. قلت أنا اليوم بدي أفطر بكتيبة المدرعات، الملك، قاصد أنا أشوف رافع، عالفطور، كنت أدقق النظر على رافع أشوفه نظره بالصحن. ومع هذا كنت أتوقع منه إنه بعد الإفطار إنه ييجي يحكي، فشفت الرجل ما حكى، قلت له أخ رافع، قبل ما أركب بسيارتي، بادرت له وحطيت إيدي على كتفه وقلت له يا أخ رافع أنا شايفك مش مبسوط، في شي مضايقك؟ وقال الملك: كنت مقرر بيني وبين نفسي إذا الرجل أباح لي وحكى اللي ببالِه، اللي أقله الفلوس اللي أجوك حلال، ولن يحدث معاه شي، ولن يستجوب، لو أنه وضح اللي عنده. شفت الرجل مصمم، لما وصلت بيتي (ما قال القصر)، اتصلت وطلبت اتخاذ الإجراءات المقررة.

يكمل جهاد روايته للمشهد أمامه: كان عندنا وكيل من الشوبك قديم، وقف وقال للملك: يا سيدي أنت بتقول اتخذت إجراءات بحقه؟ مع احترامي إلك، والله غير تعينه وزير ونصير نأديله تحية. الملك صارت هاي (أشار الغرايبة إلبطرف فكه) تتحرك في فكه، لما ينفعل بصير ترف. طل على الوكيل قاله تفضل يا أخي. كان وكيل قد حاله، فأكمل: يا سيدي بتتذكر وأنت لما أجيت وأنت بقيت شب هَه (مع إشارة بيده)، أنا كنت شرطي على راسي زَنْبُوعة، وأجيت واستعرضتنا حرس شرف، ومن هظاك اليوم هاظ يوم، أكم خاين وخاين خانك وأنت ترجع تحطه وزير ونصير نأديله تحية؟ قال له يا سيدي هاظ لازم نتخذ إجراءات بحقه لأنه هاظ مش ضد الحسين هاظ ضد بلد الحسين وشعب الحسين. قال يا سيدي غير تعينه لكن بدي منك طلب يا سيدي. ثم أكمل: بدي منك تشرم أذنه. قاله الملك: لويش أشرم أذنه؟ بدي لما يصير يدعي الوطنية والإخلاص نقول يا أبو أذن مشرومة.

محمد جميل عبدالقادر[1]

قصة أول مقابلة تلفزيونية رياضية مع الملك الحسين

انتقل محمد جميل عبدالقادر إلى العمل التلفزيوني عام 1969 ليصبح أول مذيع مختص بالرياضة في التلفزيون الأردني حديث النشأة آنذاك.

يتذكر السيد محمد قصة أول مقابلة تلفزيونية رياضية أجريت مع الملك الحسين كالتالي:

في مطلع عام 1971 أقيم في العقبة مهرجان للتزلج على الماء، وكان الملك يحضره كراع ومشارك، وكان محمد جميل ضمن فريق تلفزيوني يضم بالإضافة إليه مصورًا ومخرجًا، لمتابعة نشاطات المهرجان.

ذات نهار، اتصل به مدير التلفزيون المرحوم محمد كمال من عمان، وأبلغه بأنه وصلهم في العاصمة خبر بأن مسيرة شعبية لتحية الملك وتأييده، سوف تتوجه من مدينة العقبة إلى القصر الذي يقيم به الملك في العقبة، وأنه يصعب على التلفزيون إرسال فريق تلفزيوني آخر لتغطية المسيرة، وأن على عبدالقادر وزملائه أن يقوموا بالأمر ويتوقفوا مؤقتًا عن تغطية النشاط الرياضي أي مهرجان التزلج.

يقول السيد محمد: رافقنا المسيرة التي انطلقت من مبنى متصرفية العقبة باتجاه مقر إقامة الملك، عند الوصول، خرج الملك إلى الناس، وفي أجواء الحماسة صعد على مقدمة سيارة روفر، واستمرت كلمة الملك حوالي ساعة نظرًا لكثرة مقاطعته بالهتاف، كنت خلالها أقف أسفل منه وأمدُ يدي حاملًا الميكروفون، وقد لاحظ الملك ما طال يدي من إرهاق

1- هذه المادة مبنية على مقابلتين أجريتهما مع الإعلامي محمد جميل عبدالقادر في مكتبه في عمان.

نتيجة الحركة، وكان ينظر نحوي متعاطفًا، وبعد انتهاء كلمته صافحني واصطحبني إلى الداخل، وقال لي:" يعطيك العافية والله شاعر معك"، فتجرأت وطلبت أن يعطيني فرصة إجراء مقابلة رياضية معه، فرحب فورًا، وطلب من أحد مرافقيه تنظيم المقابلة في اليوم التالي".

يكمل عبدالقادر: "أمضيت وقتي مرتبكاً قلقًا أعد قائمة من الأسئلة ثم أعيد النظر فيها، إلى أن جاء الموعد، وأبلغت أن الملك يريد أن تكون المقابلة فوق يخت في البحر، حضر الملك وكان يرتدي شورت وقميص رياضة، وصافحنا جميعًا، ثم جلست أمامه ووضعت ورقة الأسئلة تحت حجر صغير يحفظها من التطاير، لاحظ الملك ارتباكي، فتناول ورقة الأسئلة من أمامي، ونظر إليها ثم كورها بيده ورماها في البحر، وقال: سآخذكم في جولة بحرية، استمرت حوالي ساعة حدثنا فيها عن العقبة وطموحاته تجاهها، وسألني عن عملي ودراستي وأوضاعي الشخصية، ثم قال لي اسأل ما تريد، كنا قد استرحنا وتلاشى إرباكنا".

«أجريت مقابلة ممتازة، وكنت فرحًا جدًا، كانت المقابلة مقتصرة على أمور الشباب والرياضة، ومن أهم ما سألته: ماذا تعني لك الرياضة؟ فأجابني: الرياضة بالنسبة لي الحياة. ولولا الرياضة ما كنت جسديًا قادرًا على الحكم".

كانت مدة المقابلة حوالي 20 دقيقة، كنا جميعًا سعداء، لكن سرعان ما أبلغت بأن اللقاء لن يبث، لأن الملك يرتدي شورت وليس من المناسب في تلك الظروف أن يظهر هكذا على شاشة التلفزيون، فأصبت بإحباط.

بعد ذلك بحوالي أسبوعين، كان الملك يحضر مناسبة رياضية أخرى في عمان، وعندما رآني ابتسم، وقال لي: شو بتضحكوا على الناس؟ وين المقابلة؟ فقلت له: والله يا سيدي مش عكيفي. قال: على كيف

مين؟ قلت له: إن هذا رأي الوزير بسبب شورت الرياضة. فقال: «معقول ذلك؟ أنا قصدت أن ألبس الشورت، وأريدها رسالة للشباب والمسؤولين بأن الرياضة تعني لي الكثير». ثم نادى على كبير مرافقيه بدر الدين ظاظا وأبلغه رأيه وطلب بث المقابلة، وقد بثت بالفعل وأعيدت أكثر من مرة.

(ملاحظة: حصلنا على رواية حول يوم المقابلة هذه، ولكن من زاوية أخرى يرويها ضابط الحرس الملكي المتقاعد الذي كان مسؤولًا عن الحرس الملكي في القصر، واسمه جهاد غرايبة، مقيم في حوارة حاليًا، ويقول: كنت في عملي في موقعي في القصر، فوصلنا خبر يقول إن مسيرة تتجه نحو قصر الملك. كان الملك في عرض البحر يمارس السباحة ومعه أحد أصدقائه، ولم تكن لدينا وسيلة اتصال معه في البحر، فخرجت إلى الشاطئ، وكان يبعد عنا مسافة ربما 200 متر، وصرت أصيح بأعلى صوتي وألوح بيدي عاليًا: يا سيدي.. يا سيدي! وواصلت النداء حتى انتبه الملك وأشّر لي بيده، وحوّل اتجاهه نحو المبنى، وعندما وصلنا قال: خير يا سيدي؟ قلت له إن هناك مسيرة تأييد وصلت وهم يريدونك. فقال: حاضر يا سيدي، أعطوني فرصة أغير ملابسي. ودخل إلى جناحه لتبديل ملابس السباحة، ثم خرج إلى الجمهور/ راجع شهادة الضابط المتقاعد جهاد غرايبة).

يتذكر محمد جميل مشهدًا حصل معهم أثناء تسجيل تلك المقابلة على اليخت، ويقول: كان معنا على اليخت عدد من مرافقي الملك إضافة إلى زملائي من التلفزيون، وكضيافة أحضروا لنا زجاجات شراب الكولا وقد كانت سلعة جديدة حينها، وعندما وُزّعَت على الحضور، كان هناك نقص بحيث أن أحدنا وهو المصور واسمه محمد أبو راجوح لم يحصل على

زجاجته، وكان الملك هو أول المنتبهين إلى الأمر، فنهض من مكانه وقدم زجاجته للمصور.

يحمل عبد القادر الكثير من الذكريات التي تدل على عناية الملك حسين بالرياضة، كان كثيرًا ما يزور المدينة الرياضية، وحصل ذات يوم أن الملك حضر على دراجة نارية، وكانت هناك مباراة في الكريكيت، وفي الوقت ذاته كانت هناك مباراة بكرة اليد للبنات، كانت المباراة النهائية في الدوري، وعندما علمنا بوجود الملك، حدثت المرحوم عبدالله أبو نوار رئيس الاتحاد الرياضي باقتراح أن يحضر الملك ولو جزءًا من المباراة، فسيكون لذلك أثر كبير. تحمس أبو نوار للفكرة ولكنه لا يعرف كيف يطرحها، فقلت له أنني أستيطع أن أطلب ذلك، ولكن الأمير رعد الذي كان متواجدًا برفقة الملك، أبلغنا أن الملك متعب ولن نتمكن من إبلاغه، فابتعدنا جانبًا، وبعد لحظات كان الملك يغادر، فوقف لوداع المقربين منه من الأمراء والمسؤولين، ولكنه رآني عن بعد، فناداني وصافحني واستفسر عن أحوالي، ثم قال: كأنك بدك تحكي شي؟ فتجرأت وأبلغته برغبتنا أن يحضر جانبًا من مباراة البنات، فسألني: هل يكفي ربع ساعة؟ قلت له: تؤمر يا سيدي.

يكمل عبدالقادر: كان الشريف زيد بين الحضور، فقال لازم نعمل ترتيبات. فعلق الملك: لماذا الترتيبات؟ هو (محمد جميل) يعرف ماذا يريد، فذهبنا جريًاإلى الملعب القريب، ودخل الملك وأكمل المباراة حتى آخرها ووزع الجوائز. لقد كسر كل البروتوكول من أجل أن يلتقي مع الشابات اللاعبات، وكان هذا حدثًا كبيرًا.

يقول محمد جميل إنه يعتز بأنه أجرى 4 مقابلات تلفزيونية مع الملك الحسين جميعها كانت في ميادين الرياضة ومن دون ترتيبات مسبقة، كان الملك يعتبر المدينة الرياضية من أهم المرافق في المملكة وكان يستضيف فيها كبار ضيوفه من العرب والأجانب. وفي بطولة كأس العرب عام 1988 حضر إلى ستاد عمان أربع مرات ليرفع معنويات الفريق الأردني. فالملك كان رياضيًا ممارسًا في عدة رياضات، أبرزها: سباق السيارات والتزلج والكراتيه، وكان مهتمًا برياضة لقوات المسلحة، حيث يُقام أكثر من مهرجان سنوي خاص بالجيش.

ناصر الدين الأسد[1]

من أثمن ما يحتفظ به المرء تلك الذكريات الغالية التي يختزنها المرء لنفسه ويظن بها على غيره، ويسترجعها من حين إلى حين فيستعيد بها أجمل أيام العمر، كأنه يعيشها مرة اخرى، فيجتمع شتيتها ويدنو بعيدها.

يتلفت القلب إلى الأعوام الستة الأولى من تأسيس الجامعة الأردنية (من آخر عام 1962 إلى منتصف عام 1968) فيتخطى حاجز الزمن، ويراها شاخصة أمامه، فيتذكر قول الشريف الرضي:

وتَلفّتَت عيني فَمُذ خفيَت عني الطُّلولُ تَلَفّت قلبي

وها أنذا قد خَفيَت عني الطلول، ولكن صورها لا تزال تتماوج في القلب، وأحس بها فيه، فيما بقي ينبض.

كان الحسين حينئذ في عنفوان شبابه، وكان يتفجر حمية وحماسة للنهوض ببلده والارتقاء به إلى مصاف البلاد التي سبقته في معارج التقدم. فما إن رأى جلالته جامعته الأردنية تخطو خطوتها الأولى ويبدأ التدريس فيها حتى أخذ يحوطها بعنايته ويسبغ عليها من تعهده، بعد أن تحقق حلمه بإنشائها. فكان يكثر من زيارتها، ويجتمع بهيئتها التدريسية وبطلبتها. وكم من مرة كان جلالته يدخل الجامعة وحده، يقود سيارته بنفسه، ويفاجئ رئيس الجامعة في مكتبه أو في البيت المتواضع الذي اتخذه سكنًا له حرم الجامعة، فما يكاد رئيس الجامعة يخرج من باب مكتبه أو مسكنه حتى يرى الملك أمامه بابتسامته المعهودة التي تشيع في النفس الهدوء والطمأنينة، وكان جلالته يطيل المكث في الجامعة: يجوس خلالها

1- شهادة كتبها الدكتور ناصر الدين الأسد بنفسه ونشرها أكرم أبو الراغب في كتابه «ذكريات مع الحسين».

ويسير في طرقاتها بين أشجارها الباسقة، يجيل عينيه فيما حوله، مستمتعًا مرتاحًا، أو يزور بيت الطلاب وبيت الطالبات، وما إن يسمعوا بمقدمه حتى يتقاطر هؤلاء الطلبة من حجراتهم إلى حجرة الجلوي، فيباسطهم ويداعبهم ويسألهم عن أحوالهم وما يحتاجون إليه، وهم متحلقون حوله، ناسين واجبات الضيافة من شدة إقبالهم عليه، فينبههم بقوله: "أين الشاي؟"، فيسارعون إلى إعداده، فيشربه معهم.

وكنت دائمًا أحس أن جلالته كان يرى في زياراته لجامعته متنفسًا له ومستراحًا من أعباء الحكم التي فاجأته منذ سنوات صباه، فنهض بها غير هياب ولا وجل:

إن الذي يرضى الإله بهديه ملك تردى المُلك وهو غلام

ملك إذا اعتسر الأمور مضى به رأي يفل السيف وهو حسام

بل ربما كان جلالته يلتفت إلى رئيس الجامعة في تجواله في الجامعة ولسان حاله يكاد يبوح بما يثقل صدره، ولعله كان يصرح همسًا بكلمات متحفظة تغني عن الجهر.

وحين كان الثلج يغطي طرقات الجامعة، ويفصلها عن عمان -ولم يكن العمران متصلًا بينهما كما هو الشأن الآن- فينقطع الماء عن طلاب القسم الداخلي ويقل لديهم الطعام، كنا نتفاجأ بجلالته يهبط علينا بالطائرة المروحية "الهيلوكوبتر" وهي محملة بالبطانيات والمياه والطعام، ويأمر سلاح الهندسة في الجيش بالإسراع في فتح الطريق بين الجامعة وعمان، وجرف الثلوج من طرقات الجامعة ثم يجلس مع الطلبة يشرب معهم الشاي ويبادلهم الأحاديث.

وفي السنة الجامعية الأولى من تأسيس الجامعة استن جلالته سُنّة حالت دون استمرارها حوائل: فقد بدأ دعوة مجموعات من ذوي الرأي والمكانة إلى تناول طعام الغداء على مائدة جلالته، مرة في الأسبوع، وتتألف كل مجموعة من عشرة أشخاص، وفي الدعوة الأولى كان من الحضور: اثنان من رؤساء الحكومات السابقين ورئيس الديوان الهاشمي والأمين العام للديوان واثنان من رؤساء من الحكام العسكريين ورئيس الجامعة "أو عميد الجامعة كما كان يدعى حينئذ". وكان جلالته يثير موضوعًا ليستمع إلى آراء الحاضرين فيه. وكان موضوع تلك الدعوة هو ما كان يشغل بال المسؤولين حينئذ من اتصال جهات حزبية خارجية بالطلبة في الأردن، وتأليبهم على الحكم، وتزويد بعضهم بمنشورات مناوئة وبشيء من السلاح للتخريب وإثارة الفوضى "وكانت أيام عصيبة"، فأخذ الحضور يتبارون في تشديد النكير على الطلبة والمناداة بإنزال أقسى العقاب عليهم، ولم يبد جلالته رأيًا، ولكنه التفت إلى رئيس الجامعة، وقال: "الوحيد الذي لم يتحدث هو عميد الجامعة مع إنه أكثر الموجودين التصاقًا بالموضوع". فأجابه في أن يستأذن في أنه يختلف مع المتحدثين، وأنه يرى من الأجدى الاجتماع بهؤلاء الطلاب والتحدث معهم ومحاورتهم، وفتح المجال لهم ليفيئوا إلى الصواب، وأشار إلى أن بعض الحضور كانوا مندفعين في مشاعرهم ومواقفهم مثل هؤلاء الشباب حين كانوا في سنهم. فابتسم جلالته ابتسامته السمحة، ولم يزد على أن قال "يحسن بنا أن نتدبر ما قاله عميد الجامعة". فتغيرت الحال ومضى الحاضرون في كلام مختلف، فازددت يقينًا برغبة جلالته في سماع مختلف الآراء المخلصة، فقد كان جميع الذين تحدثوا مخلصين وكانوا يعتقدون بصواب آرائهم، وإن اختلفت تلك الآراء باختلاف طبيعة تكوينهم وتجاربهم.

وكان جلالته يطيل الاستماع ثم يتخذ من المواقف والقرارات ما يعتقد أن فيه الخير والمصلحة.

وقد بدأت الدراسة في السنة الأولى بسبعة من أعضاء هيئة التدريس، فكان من الواجب استعارة نفر من جلة العلماء والأساتذة، خاصة من مصر وسورية والعراق، بالإضافة إلى اجتذاب من نستطيع اجتذابه من الأساتذة الأردنيين والفلسطينيين من الجامعات الأجنبية ولا سيما الأمريكية، وعزمت على السفر إلى مصر، وكانت العلاقة الرسمية معها في أسوأ أحوالها، فنصحني كبار المسؤولين بعدم السفر، فطلبت من رئيس التشريفات مقابلة جلالة الملك، وقابلته في اليوم نفسه، وعرضت الأمر على جلالته، فلم يكتف بالموافقة بل شجّعني وأيّدني، وقال: "إن الجامعة والعلم والثقافة جوهر ثابت في أمتنا وإن العلاقات الرسمية السياسية عرض متغير". وحين وصلت القاهرة وقابلت وزير التعليم العالي المصري، أصابته الدهشة لطلبي في ظل الأوضاع الرسمية بين البلدين، ولم يستجب له، فعدت إليه في اليوم التالي بصحبة صديقنا المشترك نائب رئيس الوزراء المهندس أحمد الشرباصي، فأصر على رفضه "والحديث عن هذا وغيره مما تقدم، ومما سيأتي حديث طويل ليس هنا موضوعه". وحين خرجت اتجهت إلى السفارة الأردنية بالقاهرة فأخبرني السفير أن جلالة الملك غادر عمان فجأة بالطائرة إلى القاهرة ودعاني إلى مرافقته وأعضاء السفارة لاستقبال جلالته في المطار، وكان الرئيس جمال عبدالناصر في استقبال جلالته فتانقا، وزال ما كان من مظاهر الجفوة، وهي عادة لجلالته أن يبادر بنفسه إلى الطيارة فجأة -بكل ما في نفسه من سماحة وما يتميز به سلوكه من تلقائية وعفوية- فيقابل رئيس الدولة الدولة العربية التي بينها وبين الأردن خلاف، وسرعان ما يعود الوئام، وحين وصل الموكب إلى قصر الطاهرة، التفت إلي جلالته

وسألني: "ما الأخبار؟"، فقلت: الأمر يحتاج إلى تدخل جلالة سيدنا مع الرئيس، فهز رأسه دون أن يقول شيئًا. ودخل مع الرئيس إلى اجتماع مغلق بينهما، وحين خرجا قال لي جلالته: «خير إن شاء الله». وما كدت أصل بيتي في مصر الجديدة في المساء حتى وجدت رسالة من وزارة التعليم وأخرى من من السفارة أن وزير التعليم العالي يريدني أن أقابله، فذهبت في اليوم التالي، وإذ به يبدأ بقوله إنه فكر في مطالبي وإنه وجدها معقولة.. وإنه يرى في وجود أساتذة مصريين في الأردن عاملًا من عوامل تحسين العلاقات الأخوية بين البلدين.. وطلب أن أختار ثلاثة من الأساتذة ليوافق على إعارتهم..

والذكريات تتوالى، وكنت أتمنى لو استطعت أن أطلق نفسي على سجيتها، فأكتب وأكتب، ولكني أحسب أن بعضها لم يحن وقت البوح به، وما أشرت إليه من صفات الحسين ومواقفه النبيلة يغني مجرد ذكرها وحده عن وصفها والإشادة بها، فهي تصف نفسها وتشيد بذاتها.

عمان الاثنين 17/ 11/ 1997

خليل سالم سمارة[1]

في سنة 1963 كنت طالبًا في الثانوية وفي مدرسة رغدان الثانوية. وفي هذه السنة أقرت الحكومة نظام خدمة العلم، وكان على طلبة الثانوية أن يطبقوا هذا النظام، وأقروا لنا معسكرات الحسين بإشراف وتدريب الجيش الأردني الباسل، وجاء موقع معسكرنا قرب مدينة صويلح.

كانت ظروف المعسكر الحياتية صعبة من حيث الطعام والشراب ومن حيث المنام والأغطية، ورفض قائد المعسكر مطالبنا بتحسين تلك الظروف، وقال لنا، أنتم هنا للتدريب، لتصبحوا رجال المستقبل، وعليكم أن تتحملوا، فهي مجرد شهرين.

استأنا كثيرًا وأخذنا نتناقش حول كيفية تغيير الوضع، فاقترحت على الشباب الذين كانوا معي في الخيمة أن يقفوا معي على الشارع العام وننتظر مرور جلالة الملك. ولكنهم ترددوا، وقالوا لي:إنك تحلم. هل تتوقع أن الملك سيتوقف ليسمع لك؟

قلت لهم: نحن لن نخسر شيئًا إذا لم يتجاوب معنا موكب الملك. لكن عندي أمل كبير بأننا سننجح. وبعد جدال طويل أقتنع عدد منهم بالوقوف معي، على الشارع الذي يمر منه جلالة الملك في طريقه إلى قصر الحُمّر.

وقفنا بالفعل وكنا سبعة طلاب نحمل العلم الأردني. وعندما اقترب الموكب بدأنا بالتأشير، ويبدو أن الملك أمر بالتوقف، وفتح باب السيارة واستدعاني لأقترب منه، ونزل أحد رجال الحرس وتقدم نحوي ومشى

1- عند بدء البحث لإعداد هذا الكتاب، أعلنت ترحيبي بأي مساهمة ممن مروا بتجربة مع الملك حسين. جاءتني هذه الرسالة من السيد خليل سالم سمارة وهو أردني مقيم في السعودية. وقد تواصلت معه للتأكيد، ونقلتها هنا مع قدر من التحرير اللغوي الضروري.

معي حتى باب السيارة، وكان جلالته قد فتح الباب بانتظاري. ولما وصلت سلمت عليه، وقلت له: يا مولاي نحن نفتخر بأننا في معسكر يحمل اسمك الكريم وبالقرب من بيتك العامر، ولكننا نريدك أن تطّلع على أحوالنا في المعسكر، من حيث المنام والأكل. فما كان من جلالته إلا أن ترجل من السيارة ومشى معي إلى الخيمة التي كنت فيها ومعي عشرة طلاب آخرين. وأطلعته على الطعام الذي كان يقدم لنا والفراش الذي كنا ننام عليه، فاستغرب من الوضع، وقلت له يا مولانا إن قائد المعسكر شديد جدًا معنا. ولاحظت أنه بدا عليه الانزعاج. وطلب من مرافقه أن يسجل الملاحظات، وأمضى معنا حوالي عشر دقائق، ومرّ على ثلاث خيم مجاورة. وبعدها قال: أستودعكم الله، وابشروا خيرًا. ثم مشينا معه إلى سيارة الموكب، وعلى باب السيارة، قال لي: أبشر يا خليل.

وبسرعة جرى تغيير كبير على الوجبات في كل المعسكرات في مدن الضفتين. ولما عرف الزملاء بما جرى شكروني. وبعد ذلك بأيام أمر جلالة الملك بإحضار وجبة عشاء من مطعم شهير في عمان، وفوجئنا بحضور موكب جلالة الملك إلى المعسكر وشاركنا وجبة العشاء تلك، وأذكر أن الوجبة كانت "المنسف" وعندما طلب بعض الزملاء ملاعق للأكل، قال لهم جلالته: يا شباب المنسف لا يؤكل بالملاعق، فقط باليد. وبعد العشاء، سهر معنا وشاركنا الفرحة وشارك بالدبكة لمدة ربع ساعة.

كتبت كل ما حصل معي في المعسكر، ونعتبرها، أنا ومن كان معي، أحلى رواية في حياتنا.

مراجع

- أبو شحوت، شاهر: مذكرات مخطوطة غير منشورة.
- أبو صالحة، غالب. ذكريات عمان أيام زمان. عمان: 2010
- أبو الراغب، أكرم. شخصيات مع الحسين. دار الحامد للنشر، عمان: 1997
- برتراند بادي وغي هيرت. السياسة المقارنة. المنظمة العربية للترجمة، بيروت: 2013
- برو، فيليب. الاجتماع السياسي. الدراسات الجامعية. بيروت: 2006
- التل، ملك. وصفي التل مشروع لم يكتمل. عمان: 2017
- التل، ملك. ملك يختزل عنفوان النص. عمان: 2004
- جونستون، ريتشارد. الأردن على الحافة. عمان. وزارة الثقافة.
- الحسين بن طلال: ليس سهلا أن تكون ملكا. الأردن. الدار الأهلية للنشر والتوزيع، عمان: 2009
- الحسين بن طلال. مهنتي كملك. عمان: 1978
- الرديني، بادي عواد. الأردن لمن؟ بادي عواد الرديني يخلي ضميره ويتحدث. إعداد ملك التل. عمان: 2011
- رشيدات، نبيه. أوراق ليست شخصية. مذكرات. دمشق: 2001
- الزركلي، خير الدين. عامان في عمان. الأهلية للنشر والتوزيع: 2009

- الساكت، بسام. بيت من البلقاء. دار ورد للنشر والتوزيع، عمان: 2017
- سيلبين، إريك. الثورة والتمرد والمقاومة.. قوة الحكاية. القاهرة. المشروع القومي للترجمة. 2012
- شقير، عبد الرحمن. من قاسيون إلى ربة عمون. منشورات وزارة الثقافة الأردنية. عمان: 2020
- الطراونة، أحمد. حكايتي مع الأردن. عمان. وزارة الثقافة الأردنية: 2012
- العرموطي، عمر. عمان أيام زمان. عمان: 2010
- الغويين، فيصل. سليمان النابلسي ودوره في الحياة السياسية الأردنية. المؤسسة العربية للدراسات والنشر، عمان: 2018
- اللوزي، عمر. بدايات وطن.. سيرة الشيخ عبدالله اللوزي -1900 1976. الآن ناشرون وموزعون. عمان: 2014
- لينت، جيمس. الحسين سيرة حياة. عمان: 1997
- عثمان، ماهر: الأردن في الوثائق السرية البريطانية. المؤسسة العربية للدراسات والنشر، عمان: 2016
- منيف، عبد الرحمن. سيرة مدينة. المؤسسة العربية للدراسات والنشر، عمان: 1994
- مهيار، حكمت. مذكرات اللواء حكمت مهيار. إعداد: عمر العرموطي. عمان: 2012

- رشيد، نذير. حساب السرايا وحساب القرايا. مذكرات. الأهلية للنشر والتوزيع، الطبعة الخامسة. عمان: 2016
- وراد، فائق. مذكرات، خمسون عاما من النضال. منشورات حزب الشعب الفلسطيني، رام الله: 2005
- Satloff, Robert. FROM ABDULLA TO HUSSEIN. New York Oxford OXFORD UNIVERSITY PRESS : 1994
- صحيفة الدفاع 1953
- الشرق العربي (الجريدة الرسمية) عمان: 1923
- الشرق العربي (الجريدة الرسمية) عمان: 1928
- صحيفة "الجامعة العربية". فلسطين: آذار 1928
- جريدة الدستور. 14 تموز 1968. عمان